مشروع قانون المالية 2020 يكرس تنصل الدولة من أدوارها الاجتماعية

(ص7-8)

التجديد

جريدة أسبوعية شاملة

www.attarik.net

في الحاجة إلى استعادة اليسار لهويته الاجتماعية

(ص2)

الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة.. معركتنا

(ص9)

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - الثلاثاء 26 نونبر 2019 م / 29 ربيع الأول 1441 هـ - العدد : 323 - الثمن : 5.00 دراهم

تحقيق (ص 4-5-6)

الهجرة السرية من وإلى شمال المغرب:

رحلة أجيال محبطة

الافتتاحية

النظام السياسي والنموذج التنموي

في السنوات الأولى لما سمي بالعهد الجديد تم تشكيل لجنة من نخبة من الخبراء المغاربة في عدة تخصصات للقيام بتقويم شامل لنصف قرن من السياسات العمومية. وبالفعل صدر تقرير الخمسينية باشراف المرحوم مزيان بالفقيه، الذي توصل بعد أبحاث ونقاشات عميقة إلى بلورة ثلاثة سيناريوهات لمستقبل المغرب على ضوء ما يتوفر عليه من طاقات وامكانيات، وما يواجهه من تحديات ومخاطر في سياق العولمة والتحولات التكنلوجية السريعة والعاصفة.

السيناريو الأعلى والأفضل توقع وصول المغرب الى مستوى بولونيا، أي بلد متوسط التقدم لكنه تجاوز مرحلة الخصاص في البنيات التحتية والمرافق العمومية والتنمية البشرية. اما السيناريو الثاني الذي تم توقعه فهو سيناريو تركيا، أي بلد صاعد وذو مستقبل واعد إذا ما تم تجاوز عوائق التنمية الشاملة والتطور الصناعي والانتقال الديموقراطي الحقيقي. وأخيرا السيناريو الادنى أو الثالث الذي توقع بقاء المغرب يحتل نفس الرتبة والموقع في سلم الترتيب الدولي للتنمية البشرية والعجز مع مظاهر التخلف البنيوي التي كان يرتب فيه سنة صياغة التقرير(2005)!

بعد عقد ونصف من ذلك التقرير الشهير، هاهو النظام يعود إلى تكرار نفس الاسطوانة: تشكيل لجنة لصياغة نموذج تنموي جديد بقيادة إطار من نفس المعيار، وكأن المشكل يوجد فقط في التشخيص التقني والمقاربة التقنوقراطية بينما أكدت جميع الدراسات الجادة والموضوعية وتقارير المؤسسات الدولية أن العطب الحقيقي المعرقل لأي إقلاع اقتصادي حقيقي وتمنية شاملة ومستدامة يوجد بالضبط في طبيعة النظام السياسي، بسبب اصرار الطبقة الحاكمة على رفض الاستجابة لانتظارات الشعب المغربي في الحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية. وهي الشعارات التي رفعها حراك 20فبراير ورددتها من بعد كل الحراكات المحلية والقطاعية خاصة في المناطق التي لازالت تعاني من الاقصاء والتهميش و"الحكرة". انطلاقا من هذه الحقيقة التي يكاد يقر بها الجميع بما في ذلك بعض العقلاء من الطبقة السائدة، لا يسعنا إلا أن نجدد تنبيهنا إلى أن المخاطر الكبرى التي تهدد مستقبل بلادنا وشعبنا تفرض على الحاكمين التوقف عن مناورات الإلهاء والخداع لربح مزيد من الوقت، والإقدام على اتخاذ إجراءات ملموسة تعيد الثقة للشعب في العمل السياسي وأولها إطلاق سراح جميع المعتقلين على خلفية الإحتجاجات الاجتماعية والسلمية، وفتح حوار عمومي حول المنهجية الديموقراطية الكفيلة وحدها بإيقاف العبث وهدر الطاقات والزمن السياسي ومحاربة الفساد ووضع حد للاستبداد المقنع اللذان يعرقلان أية نهضة حقيقية ببلادنا.

الطريق

في الحاجة الى استعادة اليسار لهويته الاجتماعية

هل يستقيم الحديث عن نموذج تنموي جديد في ظل نفس الاختيارات النيوليبرالية وإعادة إنتاج نظام الريع والامتيازات ومركزة الثروة، والتي عكستها مضامين القانون المالي الأخير والتي تضرب في العمق شعار العدالة الضريبية بمزيد من الإنهاك الضريبي للطبقات الفقيرة والمتوسطة، ثم تضخيم ميزانيات بعض القطاعات ذات الصلة المباشرة بالأمن كالداخلية والجيش، كمؤشر صريح على الانتصار للمقاربة الأمنية أمام تصاعد منسوب الاحتجاج الاجتماعي؟ كيف يمكن الحديث عن محاربة الفساد ونهب المال العام في غياب الحد الأدنى من التدابير السياسية والاجتماعية الكفيلة بخلق مناخ ديمقراطي للاستثمار ودعم المقاولة وإنتاج فرص الشغل، وتشجيع القدرة الشرائية للطبقات المقهورة وبالتالي تقليص الفوارق الطبقية كإلغاء معاشات البرلمانيين والوزراء وفرض ضريبة على الثروة وتفعيل استراتيجية عدم الإفلات من العقاب خارج منطق العقاب الظرفي تحت ضغط اللحظة الاحتجاجية؟

المفارقة العجيبة في مشهدنا السياسي العام، حيث أنه بقدر انسياب الخطاب الرسمي خلال الآونة الأخيرة في استحضار البعد الاجتماعي في السياسات العمومية والترسانة القانونية بقدر ما يتم الإجهاز على ذلك البعد من خلال التجاهل المنهجي لأجوبة السلطة المضادة لتجاوز واقع الاحتقان الاجتماعي، وتصاعد الردة الحقوقية بكونها سلطة مؤسساتية كالتصدي لمقترحات فدرالية اليسار الديمقراطي بالبرلمان المتعلقة باسترجاع 17 مليار درهم من الأرباح التي جناها لوبي شركات المحروقات بطريقة غير قانونية وغير أخلاقية، التخفيض من ميزانية البلاط الملكي والبرلمان والداخلية والمالية والجيش من أجل الرفع من ميزانية التعليم والصحة، وكذلك إلغاء المادة التاسعة من مشروع القانون المالي التي تشرعن تجاوز الدولة للسلطة القضائية، وقبل ذلك مقترح قانون للعفو العام على معتقلي الاحتجاجات الاجتماعية...فما بالك بالطلب الاحتجاجي الاجتماعي النابع من قلب معاناة فئات مجتمعية عريضة ضحية الإقصاء الاجتماعي والمجالي والتي عكستها الحراكات الاجتماعية المرشحة للتوسع المجالي والسوسيولوجي في ظل استراتيجية تسييد الدولة الأمنية تحت شعارات " الدولة الاجتماعية" !.

إن الحقيقة التاريخية تقول أن الفساد والريع والنهب من الآليات الحيوية لاشتغال المنظومة السياسية والسوسيواقتصادية في بلادنا في اتجاه إعادة إنتاج " الدولة الأمنية " في كل مرحلة وحين، من هنا لابد للقوى المناضلة من البحث عن إجابات ملائمة ومتنوعة قادرة على تقويض التحالف التاريخي بين السلطة والثروة على قاعدة توحيد الفعل الجماعي والفردي ومنحه تأثير ومعنى عبر خلق جبهات حيوية من الناحية الاجتماعية والسياسية والثقافية والمدنية تتخطى منطق المركزية في اتجاه امتدادات محلية وجهوية قد تصل الى أبعد وأصغر نقطة جغرافية وسوسيومجالية.

إن مبادرة الجبهة الاجتماعية هي شكل من أشكال إعادة الاعتبار للنضال من أجل الديمقراطية في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتجسيد المادي الملموس لمنطق توحيد الفعل والجهد بطريقة مترابطة جدليا مع كل مسارات النضال الوحدوي في مختلف تجلياته وتعبيراته (ائتلاف، تنسيقية، فدرالية، اتحاد، جمعيات حماية المال العام...)، من هنا سيكون من المفيد جدا أن يتوسع وعاء الجبهة وطنيا ومحليا في اتجاه احتضان كل ديناميات الفعل والاحتجاج الاجتماعيين من موقع التأطير والتضامن المادي والسياسي وكذلك فتح حوار عمومي واسع ومتعدد مما سيتيح الإمكانية المبحوث عنها تاريخيا (جبهة، كتلة تاريخية، تجمع، تحالف، فدرالية...الخ) لتفكيك تلك الحلقة المفقودة بين حقل اجتماعي مقهور ومتحرك بفعل الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والقيمية وينتج في نفس الوقت مقاوماته واحتجاجاته وحراكاته، و حقل سياسي بارد غير قادر على التحرر من منطق التسوية السياسية والاجتماعية المعاقة والتوافقات المختلة لصالح قوى الفساد والاستبداد، وبالتالي لا شك أن العمل الجبهوي على أرضية اقتصادية واجتماعية ومن داخل رؤية واضحة تتقاطع فيها كل أبعاد النضال الديمقراطي الجماهيري، تعتبر من ضمانات السعي الجاد الى استعادة الهوية الاجتماعية لليسار من قلب التأطير العملي للحركة الاجتماعية قيد التبلور الكمي والنوعي، قطاعيا، مجاليا، زمنيا، وسوسيولوجيا وعلى مستوى أدوات وشبكات التواصل والتأطير والتنظيم.

◆ **محمد امباركي**

الجبهة الاجتماعية

اللجنة التحضيرية

بلاغ اللقاء التشاوري الأول

عقدت اللجنة التحضيرية للجبهة الاجتماعية، لقاء تشاوريا أوليا، يوم السبت 09 نونبر 2019، بالمقر المركزي للكونفدرالية الديمقراطية للشغل بالدار البيضاء، حضرته عدة تنظيمات جمعوية، نقابية، حقوقية، سياسية، شبابية، نسائية.

وقد تدارست المشاريع والمقترحات الكفيلة بإطلاق دينامية تأسيس الجبهة، والتي تظل منفتحة على باقي القوى الديمقراطية والتقدمية التي تتقاطع وأهداف ومهام الجبهة، والمتمثلة في الدفاع على الحقوق والحريات لأوسع شرائح الجماهير الشعبية وفي عمقها القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وذلك بالمبادرة والانخراط ودعم كل الحراكات النضالية التي تصب في مصلحة المطالب الحيوية للمغاربة.

وقد خلص اللقاء إلى اتخاذ مبادرات عملية للإعداد للإعلان الرسمي عن تأسيس الجبهة الاجتماعية المغربية، كضرورة موضوعية للتكتل وتوحيد المبادرات النضالية.

فيما يلي المنظمات الأولية الموقعة :

- الجمعية المغربية لتربية الشبيبة AMEJ.
- جمعية المواهب للتربية الاجتماعية
- جمعية التنمية للطفولة والشباب ADEJ
- الجمعية المغربية لحماية المال العام.
- الجمعية المغربية لحقوق التلميذ.
- المنتدى المغربي للحقيقة الإنصاف.
- الجمعية المغربية لحقوق الإنسان.
- منظمة حريات الإعلام والتعبير "حاتم".
- التنسيقية الوطنية للأساتذة الذين فرض عليهم التعاقد.
- الكونفدرالية الديمقراطية للشغل.
- النقابة الوطنية للتعليم(ك.د.ش)
- الجامعة الوطنية لعمال وموظفي الجماعات المحلية(ا.م.ش).
- الجامعة الوطنية للتعليم / ك.د.
- الجامعة الوطنية للقطاع الفلاحي(ا.م.ش).
- الحزب الإشتراكي الموحد.
- حزب المؤتمر الوطني الإتحادي.
- حزب الطليعة الديمقراطي الإشتراكي.
- حزب النهج الديمقراطي.
- أطلال المغرب.
- شبيبات فيدرالية اليسار الديمقراطي.
- حركة الشبيبة الديمقراطية التقدمية "حشدت".
- منظمة الشباب الإتحادي.
- -الشبيبة الطليعية.
- شبيبة حزب النهج الديمقراطي.
- منظمة نساء حزب المؤتمر الوطني الإتحادي.
- القطاع النسائي لحزب النهج الديمقراطي.
- القطاع النسائي لحزب الطليعة الديمقراطي الإشتراكي.
- القطاع النسائي لحزب الإشتراكي الموحد.
- قطاع الجامعيين الديمقراطيين.
- تيار الأساتذة الباحثين التقدميين.

عين على الساحة...

التنفيس الاصطناعي

لم يبق إلا شهر واحد، لتكمل حكومة الحزب الأغلبي سبع سنوات، بالتمام والكمال منذ تعيينها في 3 يناير 2013؛ سقطت خلالها كل الوعود المقدمة للناخب والناخبة، ولم ينفع للتدارك كل الرتوش التي خضع لها الجسم الحكومي سواء في الحكومة الثانية، او في الحكومة الحالية التي عرفت تغيير رأسها.

سبع سنوات عجاف، سياسيا واقتصاديا واجتماعياً وقانونيا وحقوقيا وبيئيا، رغم حكاية "الميكات"، ويمكننا ان نقول أنها سبع سنوات عجاف على الطبقات الشعبية بكل فئاتها، في حين هي سبع سمان للحاكمين، بحيث أكلت السمان، السبع العجاف أصلا، حتى النسغ.

لم يكن الشعب المغربي مع تعيين الحكومة الأولى، منذ سبع سنوات، ينتظر منها ان تغير هياكل الاقتصاد، لفائدة الطبقات الشعبية، والحزب الاغلبي كان أصلا ضد 20 فبراير، ويفتخر قائده بذلك، ولا أحد كان يتوهم أيضا إعادة الأموال المنهوبة لخزينة الدولة، ولا اتخاذ موقف حازم مع المؤسسات الدولية حول الديون ، ولا أحد كان ينتظر شيئا من نشر لائحة المستفيدين من المقالع، ولا احد كان يعتقد أن الحكومة ستحارب فعلا الفساد الاقتصادي والسياسي، لكن كان البعض يعتقد أنه من الممكن على الأقل توزيع الأنقاض والفتات، الذي تركه المنتفعون وراءهم، على كل طبقات الشعب بما فيه البرجوازية توزيعا لا نقول عادلا ولكن فقط فيه بعض من الإنصاف، لكن كل قوانين المالية التي قدمتها الحكومة بما فيها قانون المالية الحالي لسنة 2020 مطبوعة بسمة واحدة هي محاباة الأغنياء والتخفيف عنهم في الاستيراد والتوزيع، في المواد التي تستهلكها وتطلبها، والاستجابة لمطالبها حتى في الميدان الاجتماعي ، والضغط على الطبقات الشعبية في المواد التي تستهلكها بما فيه الضرورية منها وفرض جبايات وإتاوات عليها، ما أنزل الله بها من سلطان.

سبع سنوات عجاف على الأغلبية وسمان على الأقلية، لا هم للحكومة خلالها إلا استشارة خبراء السوء ليدلوها على منفذ إلى الأجور والمداخيل الضعيفة، وإلى أساليب ناجعة تسرع من تخلص الدولة من التحملات الاجتماعية في الصحة والعلاج وفي التعليم وفي السكن، والنتيجة الآن أمامنا مخيفة حتى للمؤسسات الدولية، التي بدأت تحضر نفسها لتبرئة الذمة أمام الرأي العام الدولي والوطني، مما وصلت إليها البلاد.

في بداية سنوات 2000 سلكت الدولة طريق تنفيس الاختناق، على فترات ولو متباعدة، بخطوات حقوقية مثل مدونة الأسرة وما سمي بطي صفحة الماضي ومراجعة بعض مواد القانون الجنائي ... ولو أن المطرقة الاقتصادية ظلت تنزل على الهامات تاركة كدمات، إلا ان تلك الخطوات الحقوقية تحدث مساما في الساحة السياسية يخرج منها الهواء كي لا يحدث الانفجار.

طوال السنوات السبع، رغم أن الدستور الجديد منح للحكومة هامشا، لم تتخذ الحكومة ولا متنفسا واحدا، بل زادت من الضغط والخنق، وكل ما هي حاذقة فيه هو تقليد التنفيس الذي برع فيه المخزن ليس بمسام لا يخرج منها إلا النزر اليسير من الهواء، بل بالتضليل وادعاء ما ليس حقيقة، أي بالتنفيس الاصطناعي الوهمي، مثل الادعاء، ان الحكومة الحالية أصغر حكومة عددا في تاريخ المغرب، أو مثل ما تم التصريح به مؤخرا من انها الحكومة الاجتماعية الوحيدة في المغرب.

اننا نعرف ان الدستور قسم السلطات التنفيذية بين مؤسسة الملكية وبين الحكومة، ونعرف أن الحكومة مشكلة من وجوه عكسها واقع مجلس النواب، ووجوه عكستها المؤسسة الملكية، لكن نعرف أيضا ان رئيس الحكومة هو المايسترو القانوني والدستوري، وإذا كان غير ذلك عليه ان يصرح به بدل نشر الأضاليل، أما ترك الأمر يراوح مكانه، بين خطب ملكية في واد، وممارسة حكومة في واد آخر، فإن ذلك لا يبين إلا أن هناك أزمة عميقة لدى الدولة بكل رتبها، ولدى سلطة التشريع.

◆ زياد السادري

ظهير 1984 المنظم لحوادث السير تحت المجهر

◆ طارق السفياني

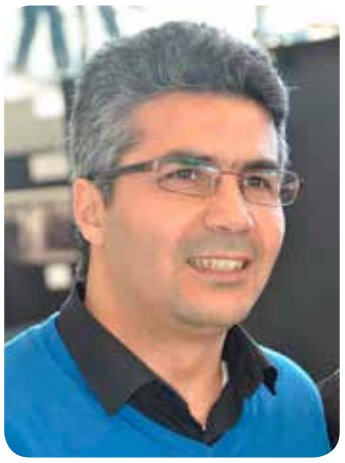

نظمت هيئة المحامين بالدار البيضاء بشراكة مع نادي المحامين بالمغرب خلال شهر نونبر الجاري، ندوة دولية في موضوع : "تعويض ضحايا حوادث السير بعد 35 سنة على صدور ظهير 02 أكتوبر 1984"، وذلك بمدينة الدار البيضاء.

وقد تناول الكلمة في الجلسة الافتتاحية كل من السادة نقيب هيئة المحامين بالدار البيضاء، ورئيس نادي المحامين بالمغرب، ووزير الدولة المكلف بالعلاقة مع البرلمان، ووزير العدل، ووزير الشغل والإدماج المهني، والسيد رئيس جمعية محامين بالمغرب، والسيدة ممثلة المجلس الوطني لحقوق الإنسان، كما عرفت الجلسة الافتتاحية حضور جانب مهم من السادة المسؤولين القضائيين بالدائرة، وممثلوا المهن القضائية والقانونية، وعرفت الندوة حضور ما يقارب الألف مشارك ومهني وباحث ومهتم، توزعت الندوة الدولية على ست جلسات علمية، أطرها 23 مهتما وخبيرا وباحثا ومهنيا من مختلف المجالات.

كما عرفت هذه الندوة برمجة ستة جلسات أحاطت بجميع الإشكاليات والمعيقات التي يطرحها الظهير منذ 35 سنة على صدوره، وهي مدة زمنية طويلة جدا، عرفت تطورات ومستجدات عدة لم يعد هذا القانون قادرا على الإحاطة بها. وقد تطرق المتدخلون لظروف ولادة ظهير 2 اكتوبر 1984 والتي جاءت بشكل مباغث، في فترة فراغ تشريعي، لم يسبقه أي نقاش عمومي، وانه جاء نتيجة لسياسة التقويم الهيكلي المفروضة على البلاد من طرف صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. وللتذكير فهذا الظهير الحالي جاء لتعويض النظام السابق الذي كان قائما على التقدير الجزافي للتعويضات، الذي كان يمنح للقاضي سلطات تقديرية واسعة في تحديد التعويض، دون أي معايير تحفظ حقوق المواطنين.

وقد أجمع المتدخلون على أن ظهير 02 اكتوبر 1984، يكرس انتهاكا واضحا للقيم الدستورية، وقيم دولة الحق والقانون، ويتنافى مع مقومات الدستور المغربي، ويمركز سلطة النفوذ والمال، كما يسلب القضاء اختصاصه ويحرمه من توزيع الأضرار بشكل عادل ومنصف بين الأطراف، على اعتبار أن القضاء كسلطة مؤسساتية ودستورية تراقب وتضمن أسس المحاكمة العادلة.

كما سجل المتدخلون أن جميع القوانين عرفت تعديلات مواكبة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية، باستثناء ظهير 2 اكتوبر 1984، الذي حافظ على ثباته، لأنه يعزز مصالح شركات التأمين على حساب الضحايا.

كما وقف الحاضرون على التشريع المقارن من خلال تدخلات أساتذة يمثلون أقطار كل من الجزائر وتونس ولبنان واسبانيا وفرنسا والإمارات العربية المتحدة.

وبعد يومين من النقاش الهادئ والرصين خلص المشاركون في الندوة إلى مجموعة من التوصيات من أهمها :

-1 دعوة الحاضرين إلى تعزيز سياسات السلامة والوقاية من حوادث السير ومكافحة هذه الظاهرة التي تحصد عشرات الآلاف من الضحايا سنويا.

-2 اتفق الجميع على أن ظهير 2 أكتوبر 1984، أصبح متجاوزا ويتعين التدخل عاجلا لسن تشريع جديد يتلائم مع تغيير الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لبلادنا، ويتجاوز النقائص التي كشف عنها التطبيق.

-3 يعتبر الحاضرون أن ظهير 2 اكتوبر 1984 تشريع فيه إجحاف بالنسبة للضحايا في تحديد الأضرار التي يعوض عنها وتحديد أسس التعويض، وطرق احتسابه ومساطر الحكم به وطرق تنفيذه.

-4 يحث الحاضرون على الاستفادة من التجارب المقارنة من أجل تجاوز نقائص النظام الحالي وإقرار تشريع يكرس الحق في تعويض عادل ومنصف وكامل لضحايا حوادث السير.

-5 يثير الحاضرون انتباه المعنيين للبعد الحقوقي لتعويض ضحايا حوادث السير، كفئة أصبح القانون الإنساني الدولي يعتبرها من ضمن أولوياته.

-6 يؤكد الحاضرون على أن جميع أطراف دعاوى التعويض عن حوادث السير يجب أن يخضعوا بالمساواة لأحكام القانون، وأن لا يتم معاملة أي طرف منهم معاملة تمييزية تجعله فوق التطبيق العادل للقانون.

ملاعب القرب بطنجة...
الشبيبة الطليعية تحشد لمواجهة "سرطان الفساد"

أطلقت الشبيبة الطليعية بطنجة مبادرة نضالية جديدة تهدفُ إلى حشد جهود الجمعيات الرياضية والهيئات المعنية بالمدينة من أجل تطبيق قرار مجانية الارتفاق بملاعب القرب. وتجدر الإشارة إلى أن وزارة الشباب والرياضة ووزارة الاقتصاد والمالية قد أصدرا معا دورية مشتركة بتاريخ 01 نونبر 2018 ونشرت بالجريدة الرسمية عدد 6722، تقضي بمجانية الولوج إلى المرافق السوسيو-رياضية (تدخل ضمنها ملاعب القرب) تحت طائلة المتابعة القانونية في حالة مخالفة القرار. نفس الوثيقة تحُث الساهرين على تدبير المرافق الرياضية التابعة لوزارة الشباب والرياضة على عدم استخلاص أية رسوم أو إتاوات من المرتفقين، وذلك تماشيا مع استراتيجية توسيع قاعدة الممارسين ودمقرطة الولوج إلى المرفق الرياضي.

إلا أن الواقع يسير على خط لا يلتقي ومحتوى الدورية، ويعاكس كل الإشارات والجمل المتضمنة في الخطابات الرسمية للدولة والاستراتيجيات المندمجة والمخططات والنصوص التي تتحدث عن تيسير ودمقرطة الولوج الى المرافق العمومية.

إن واقع تدبير ملاعب القرب بالمغرب وبمدينة طنجة خصوصا، التي نرتبط بقضايا شأنها المحلي، هو واقع يقاوم آمال شباب ذنبهم أنهم جعلوا من الرياضة وكرة القدم هواية.

وفي هذا الصدد بادرت الشبيبة الطليعية انسجاماً مع قناعاتها وأهدافها بتنظيم الشباب وتأطيره، وكذا تعبئته لمواجهة كل مظاهر التهميش والحرمان والاقصاء، الى اتخاذ سلسلة خطوات نضالية قصد تغيير هذا الواقع ومعالجته بالآليات والأساليب التي تراها مناسبة، اذ شرعت الشبيبة الطليعية بسلسلة مراسلات بالتنسيق مع الجمعيات الرياضية المعنية بالولوج الى هذا المرفق، كما عملت الشبيبة على خلق شبكة للجمعيات تشكلُ قوة ضاغطة لمواجهة هذا الواقع المفروض بقوة السلطة، هذا التنسيق والتشبيكُ نتج عنه الحضور القوي لهذه الجمعيات بالندوة المفتوحة التي نظمتها الشبيبة الطليعية بطنجة تحت عنوان "فساد تدبير ملاعب القرب ومسؤولية الجهات الوصية" والذي أطره كاتب فرع الشبيبة، مشيراً الى مكامن الفساد في التدبير، والالية التي يجري بها تفويت هذه الملاعب دون أي سند قانوني ولا متابعة أو مواكبة لسيرها العام.

الشبيبة الطليعية بطنجة سلكت المسار القانوني أيضاً الى جانب المسار الميداني، اذ عمدت الى اجراء معاينات لمفوضين قضائيين تثبتُ تقاضي رسوم وإتاوات غير قانونية من المرتفقين الشباب والجمعيات المرتفقة، في مخالفة صريحة للنصوص ذات القيمة القانونية، كما تقدمت الشبيبة بشكاية الى وكيل الملك لدى المحكمة الابتدائية بطنجة مشيرة الى أسماء موظفين عموميين ارتكبوا جرائم "غدر ونصب واحتيال" وغيرها من الجرائم كما تضمنت المراسلة الموجهة الى وكيل الملك، والمطالبة بإجراء تحقيق والاستماع الى موظفي مندوبية الشباب والرياضة.

كما أنه من المنتظر رفع دعوى قضائية في الموضوع ومواصلة خطوات ميدانية ضاغطة بالتنسيق مع الجمعيات، وحشد شباب المدينة من أجل تحرير ملاعب القرب وفرض المجانية، ومن أجل ولوج عادل للمرافق العمومية بشكل سلس، يضمن ويحترم كينونة هؤلاء الشباب ومكانتهم داخل المجتمع.

◆ نزار هسكوري

تحقيق

الهجرة السرية من وإلى شمال المغرب: الرحلة السرية لأجيال محبطة

◆ محمد الناصري

تقديم لابد منه: يسعى هذا المقال التحليلي والتفصيلي الى تسليط الضوء على خلفيات وأبعاد ظاهرة الهجرة غير الشرعية في الشمال الشرقي للمغرب وبالخصوص اقليم الناظور الذي أخذت فيه منحنيات متصاعدة وبشكل خطير خلال السنوات الأخيرة. وقد عملت عدة وسائل إعلامية في التصدي لها والكشف عن كنه فضاعتها من خلال تخصيص مساحات ومضامين اعلامية وتتبع ورصد للخروقات الناجمة عنها. إلاأن الظاهرة في عمقها معضلة خطيرة وقضية معقدة وشائكة في بنيتها وفي سياقها، لأنها ترتبط بعوامل متداخلة وترجع في بعدها الى تراكمات سياسية واقتصادية واجتماعية وحتى نفسية وأمنية. فالهجرة غير الشرعية اليوم من الملفات الساخنة التي أثارت العديد من الجهود الدولية والوطنية والإقليمية من خلال القوانين الردعية والإجراءات الأمنية التي اتخذتها الدول في سبيل تطويق هذا النزيف الذي نخر جسد الدول "العالم ثالثية" المصدرة والدول الغنية المستقبلة نتيجة للأثار والإنعكاسات الخطيرة، ومنها الإتجار بالبشر والجريمة المنظمة وغيرها. وباعتبارها ظاهرة تتحكم فيها العديد من الأسباب والظروف فإنها تتطلب مقاربة شاملة من جميع الجوانب منها النفسية والإجتماعية والسياسية والأمنية بالإضافة إلى مساهمة مؤسسات التنشئة الإجتماعية منها الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام...

I. مناطق عبور الهجرة غير الشرعية إلى الشمال المغربي:

تعتبر منطقة جنوب المتوسط خاصة وإفريقيا بصفة عامة من أهم المناطق المصدرة والمستقبلة للاجئين بسبب الحروب وعدم الإستقرار السياسي الذي تعرفه دول المنطقة ويمكن القول بأن المنطقة المغاربية تعتبر منطقة نشيطة للاجئين والمهاجرين القادمين من افريقيا خاصة ومن منطقة جنوب الصحراء والبحيرات الكبرى. فالأراضي المغربية الشمالية تعد نقطة عبور رئيسية نحو اسبانيا عبر مضيق جبل طارق. فقد سجل مابين سنة 1997و2001 حوالي 3286 ضحية غرقت في المضيق. كما أن الجزائر وتونس وليبيا هي الأخرى مناطق عبور للمهاجرين القادمين من افريقيا جنوب الصحراء حيث أصبحت هذه البلدان تعرف انتشارا ملفتا للمهاجرين الأفارقة. ففي المغرب، وفق ما أوردته وزارة الداخلية، كان هناك ما يقرب من 60000 أجنبي يتمتعون بوضع قانوني في عام 2008. وفي 31 ديسمبر 2009، أحصى المغرب 773 لاجئاً و318 طالب لجوء. وقدم 807 شخصاً طلبات لجوء في عام 2009. وفي 31 مارس 2010 ، سجل مكتب المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في الرباط 24 حالة لاجئين فلسطينيين كان 75% منهم مسجلين قبل عام 2004 ففي 31دجنبر2009، اعترف بـ 92 لاجئا ضمن ولاية المفوضية، وكان هناك 36 من طالبي اللجوء مسجلين تم تسوية حالاتهم.

الدولة	عدد المهاجرين	غير الشرعيين	عدد اللاجئين	طالبي اللجوء	السنة
المغرب	75000	10000	766 +	469	2010
الجزائر	90000 +	10000	138 +	192	يناير2010
تونس	45000	10000-	94 +	51	2009
ليبيا	1.2 مليون	1مليون غير شرعيين	6713 +	438	2007

فالجدول أعلاه حسب المفوضية العليا للاجئين توضح تدفقات المهاجرين وخطوط سيرهم بسرعة كبيرة تبعاً للوضع الجغرافي-السياسي في مناطق المنشأ والتغيرات التي تطرأ على القانون والممارسة في الدول المغاربية والاتحاد الأوروبي. وهكذا، يصبح طريق الهجرة الأقدم وهو مضيق جبل طارق، أقل استخداماً بالتدريج ليحل محله العبور من موريتانيا أو السنغال إلى جزر الكناري الذي بلغ ذروته في عام 2006، ومن تركيا إلى جزر الدوديكانز اليونانية الذي بلغ ذروته في عام 2007 ومؤخراً من ليبيا إلى ايطاليا الذي بلغ ذروته في 2008. وبينما كانت ليبيا بلد عبور رئيسي حتى وقت قريب جداً، فإنها قلصت تماماً منذ ذلك الحين تدفقات المغادرين من شواطئها لأن الدولة الإيطالية شددت مراقبتها واغلاقها لكل المنافذ منذ سنة 2018.إذن اصبحت هذه الدول تعرف انتشارا ملفتا للمهاجرين الأفارقة بسبب الفساد والإستبداد والتوزيع الغير العادل للثروات وانتهاك الحقوق والحريات في بعض الدول المصدرة للعمالة. كما لايمكن استبعاد الأسباب الجغرافية والبيئية وتهديد الكوارث الطبيعية من جهة ثانية ولانستثني العوامل الديمغرافية في التحفيز على هجرة السكان. فارتفاع عدد الساكنة وانخفاض مستوى المعيشة عامل للهجرة تعويضا عن انخفاض المعدل السكاني في مجتمع الجذب.

ففي المغرب وبالخصوص الجهة الشرقية والشمال أصبح مفهوم "لحريق" او"الهربة" تطلق على المهاجرين غير الشرعيين من المغرب ينضاف اليهم الأفارقة جنوب الصحراء الكبرى ثم العديد ممن لحق بهم من المهاجرين من بانغلاديش اليمن سوريا تونس.....

II. مواقع التواصل الإجتماعي وهجرة شباب الحراك الشعبي بالريف:

لعل الجديد في قضية الهجرة غير النظامية وما يميزها راهنا هو استعمال مواقع التواصل الإجتماعي التي تروج للظاهرة بشكل مكثف عبر البحر المتوسطي شمال المغرب، باعتبارها مصدرا مهما للمعلومات واستجماع المعطيات ووجهات الإنطلاق مع كثرة المواقع الإلكترونية التي تحرض وتشجع على الهجرة، فضلا عن ارقام الهواتف التي يستخدمها مهربي اللاجئين للإعلان عن خدماتهم والقيمة المضافة لذلك هو استخدام "الحراقة" لوسائل التصوير الحديثة "الصوت والصورة" ونشر ذالك عبر مواقع التواصل الإجتماعي اذ يتم نشر العشرات من الفيديوهات تظهر هؤلاء المهاجرين في عرض مياه البحر ممتطيين قوارب وهم يقتربون من السواحل الإسبانية. وبذلك اصبح الحراقة يهاجرون على شكل مجموعات تضم عدد من القوارب تقل مجتمعة عشرات الشباب مثال ذلك ضحيا 2019 من بني شيكر وفرخانة.

وماتم تسجيله من لدن المتتبعين لشأن الهجرة غير الشرعية أن الظاهرة عرفت ارتفاعا كبيرا بعد الحراك الشعبي وبالضبط بعد لجوء السلطات لقمع الإحتجاجات السلمية ومطاردة بعض النشطاء واعتقال العديد منهم اثر مسيرة 20 يوليوز 2017 لجوء أعداد كبيرة من شباب الحراك الى الهجرة عبر القوارب انطلاقا من جميع شواطئ الناظور والدريوش والحسيمة وقدمت اغراءات حتى لبعض القياديين. كما أن بعض النشطاء لجؤوا الى مليلية طلبا للجوء. إذ انه في هذه الآونة لم يتم اعتراض سوى ثلاثة قوارب هجرة سنة 2017 وثمانية قوارب اخرى سنة 2018 ونقل الى المستشفى الحسني بالناظور 25 جثة لمهاجرين مغاربة فيما لايعرف العدد الحقيقي للمختفين في عرض البحر.كما ظهر خلال الفترة الأخيرة نوع جديد من الهجرة تتمثل في تنقل الأفراد بطرق قانونية الى تركيا لتنطلق رحلة البحث عن مسلك يحقق حلم الإستقرار في البلدان الأوروبية كألمانيا والدانمارك والسويد.... وذلك بعد انتحالهم الهوية السورية بوثائق مزورة بغاية الحصول على اللجوء. مما يعكس جسامة القيود الصارمة على الهجرة الشرعية واللجوء من قبل الدول الأوروبية إذ دفعت ببعض الشباب إلى سلك الطريق السري في سبيل الوصول الى ارض اوروبا باي شكل من الأشكال. كما ان بعض أرباب العمل الأوروبيين اصبحوا يفضلون المهاجرين غير الشرعيين. فأجورهم مغرية واعمالهم مؤقة لاتتطلب ضمانات ولاتأمينات ولاما تعرضه قوانين عقود الشغل من التزامات (عمال وعاملات موسميين في المزارع الموسمية .....)

تحقيق

الهجرة السرية من وإلى شمال المغرب: الرحلة السرية لأجيال محبطة

III. آليات الدولة في مكافحة الهجرة غير الشرعية:

على الرغم من الجهود الدولية في اتجاه تقليص ظاهرة الهجرة بشكل عام والهجرة غير الشرعية بشكل خاص غير ان الدول المستقبلة ماتزال تتخذ العديد من الإجراءات الأمنية وسن قوانين وتكثيف جهود التعاون ولعل لقاء وزيري الداخلية المغربي والإسباني خلال شهر شتنبر 2019 كان هدفه الإلتزام بتوسيع الجدار العازل في مليلية المحتلة والمزيد من تشديد المراقبة. كما طالب رئيس الحكومةالإسبانية بيدرو شانشيز، الخميس 14نونبر2019 من شارل ميشل رئيس المجلس الأوروبي الزيادة في الموارد المالية المخصصة للمغرب من اجل مساعدته على مكافحة الهجرة غير النظامية. لكن وتيرة الهجرة ستتزايد أكثر من السنوات الماضية حسب العديد من الخبراء لأن عملية إعدام التهريب المعيشي على الحدود المغربية الجزائرية وتشديد الإجراءات الجديدة الرقابية بمليلية المحتلة وحتى من قبل السلطات المغربية في معابر بني انصار، بريو تشينو، فرخانة ،تروم وقف التجارة بكل انواعها ولا سيما التهريب المعيشي مع اغلاق البوابات الحدودية دون سابق انذار احيانا تزامنا مع اضراب اصحاب المحلات التجارية بمليلية نتيجة الكساد التجاري.... كلها اجراءات تهدد بالتشريد نتيجة ضرب مصدر العيش أمام دور الدولة المتفرج دون اتخاذ أي اجراءات استباقية، مما سيزيد دون شك في تعميق الأزمة وبالتالي تكون الشرائح المرشحة للهجرة لقمة سائغة لعصابات الهجرة ليسهل استغلالها والمتاجرة فيها.

استعمال مراكز الإيواء للإحتجازوانطلاق عمليات "الإبعاد والترحيل الساخنة":

قامت دول الإتحاد الأوروبي بإنشاء مراكز اعتقال خاصة بالمهاجرين الذين يتم إلقاء القبض عليهم على السواحل حيث يتم احتجازهم ثم ترحيلهم الى بلدانهم الأصلية، وتغيب في هذه المراكز أدنى معايير الإنسانية وقد سمح القانون الجديد الذي أصدره البرلمان الأوروبي سنة 2008 باحتجاز المهاجرين غير الموثقين وملتمسي اللجوء السياسي الذين لم يتم الموافقة على طلباتهم .

وفي هذا الصدد استنكرت محامية الشعب سوليدار بثيريل وهي بمؤسسة شبيهة بديوان المظالم في تقريرها السنوي حالة الإكتضاض داخل مراكز الإقامة المؤقتة للمهاجرين غير الشرعيين لكونها لا تلبي الإحتياجات لتكون بمثابة أماكن الإقامة وفد نددت في تقرير سابق موجه إلى وزير الدولة وشؤون الأمن بالحالة المأساوية التي يعانيها الأطفال القاصرون الغير المرتفقين داخل مراكز الإيواء بمليلية المحتلة، لأن الطاقة الإستعابية في مليلية المحتلةهي 480 شخص بينما يتجاوز عدد المقيمين 650 كما أن المراكز لم تعد تقدم تعليما للأطفال أو دروسا تكوينية وتوعوية. اما بشمال المغرب وبالخصوص اقليم الناظور محور تمركز المهاجرين، فمن خلال معاينتنا لمختلف المراكز ومن خلال تواصلنا المباشر مع المهاجرين المغاربة والأفارقة جنوب الصحراء تم تحديد ثلاثة مراكزايواء:

- **المركز الكائن بمفوضية الشرطة بالناظور:** والذي يشتغل بشكل دائم منذ سنة 2015 اذ فيه يتم توقيف المهاجرين مغاربة وأجانب لمدة وجيزة ليتم ترحيلهم في حافلات بعد أخذ صورهم وبصماتهم .
- **مقر القيادة الجهوية للدرك الملكي بالناظور:** ويشتغل بشكل دائم لاستقبال أفواج المهاجرين غير الشرعيين وترحيلهم الى جهات غير معلومة، دون إخبار المهاجرين بالوجهة المقصودة.
- **مركز أركمان الذي هو في الأصل مركز للإصطياف تابع لوزارة الشبيبة والرياضة:** استعمل سنة 2015 وأعيد فتحه في شهر شتنبر 2018 من أجل عمليات احتجاز مئات المهاجرين الموقوفين أوضحايا" الإبعاد" والتي تنفذها السلطات الإسبانية انطلاقا من مدينة مليلية المحتلة قبل ابعادهم داخل المغرب ثم ترحيلهم الى بلدانهم حين أن حوالي 3000 مهاجرا تم احتجازهم داخل هذه المراكز خلال سنة 2018 من بينهم حوالي 700 شخص تم ترحيلهم إلى بلدانهم عبر مطار الدار البيضاء .

وقد تطول مدة الإحتجاز أياما وأسابيعا في ظروف أسوء، زائد الإجراءات المصاحبة بأخذ الصور والبصمات مع التعنيف وسحب الهواتف دون ارجاعها، وخضوع البعض للاستنطاق من قبل افراد الدرك التابعين لمديرية الهجرة والحدود بوزارة الداخلية. إضافة لبعض الممثلين عن سفارات بعض الدول الإفريقية. كما يتم منع أي جمعية محلية أو أجنبية أو صحافة وطنية أو دولية من رصد أوضاع وأماكن الإحتجاز. وتتم عملية ترحيل المهاجرين بطريقة عنيفة لاتحترم فيها أدنى معايير الإنسانية، مكبلين ومجردين من كل الحقوق وخارج أية مراقبة قضائية ودون ان يتوصل المحتجزون بأي قرار كتابي مبرر كما ينص على ذلك القانون

تحقيق

الهجرة السرية من وإلى شمال المغرب: الرحلة السرية لأجيال محبطة

المغربي 03.02 المتعلق بدخول وإقامة الأجانب. بما في ذلك المهاجرات والمهاجرين المتوفرين على بطائق الإقامة بالمغرب وحتى الحاصلين على تأشيرة الدخول. وقد شملت عملية "الإبعاد الساخنة" التي تشنها القوات المساعدة والدرك ابتدءا من غشت 2018 عن ترحيل 9100 مهاجر من الناظور الى مناطق بعيدة (تزنيت وبني ملال واليوسفية والراشيدية وبنجرير...). ففي يوم 21 يونيو 2018 تم ابعاد 34 مهاجرا من الجزر الجعفرية الى ميناء راس الماء، وفي 23 أكتوبر إبعاد 30 مهاجرا نحو ميناء بني انصار. 24 اكتوبر2019 55 مهاجرا من مليلية الى الناظور، ومن قرية اركمان تم ترحيل 12 مهاجرا من بنكلاديش الى الحدود الشرقية في 14 نونبر 2019.

‣ تشديد الحراسة على الحدود والمعابر وبروز شبكات للهجرة:

لقد كان لاتخاذ اسبانيا مجموعة من الإجراءات الرقابية المصاحبة لسياسة الطرد الساخنة الى جانب دفع النقود مجانا كمحاولة إغرائية لبعض الحاصلين على بطاقة الإقامة. اضافة الى تشديد الحراسة على طول الحدود الساحلية، كالمشروع الإسباني الممول من طرف الإتحاد الإوروبي والقاضي ببناء جدار اخر يصل علوه إلى ستة أمتار وهو جدار مجهز بردار للمسافات البعيدة وبكاميرات للصور الحرارية وأجهزة للرؤية الليلية والأشعة تحت الحمراء وفي نفس الآن قامت بإنشاء مركز للمراقبة الإليكترونية مجهزة بوسائل إشعار ليلية ورادارات وبتنسيق محكم مع السلطات المغربية. أضف إلى ذلك عملية اعدام التهريب المعيشي على الحدود المغربية الجزائرية وتشديد السلطات المغربية والإسبانية بمليلية المحتلة لإجراءات جديدة تسير في منحى وقف التجارة بكل انواعها بمعبر بني انصار وبريو تشينو وفرخانة - وحتى وإن مرت فإنها مؤدى عنها بطرق رشوية ؟؟؟؟- والشروع في تفعيل آليات تقليص نسبة الوافدين لاسيما ممتهني التهريب المعيشي واغلاق البوابات الحدودية أحيانا دون سابق انذار كلها اجراءات تهدد بتشريد العديد من العائلات التي كانت تتخذ من هذه المعابر الحدودية المصنوعة مصدرا لضمان عيشها امام دور الدولة الدركي والمتفرج دون اتخاذ اجراءات عملية استباقية كما تعمل قي شؤون أخرى كالإرهاب. فإصرارهم على هذه الخطة أبرز للوجود وبشكل نشيط الممر البحري والإنتقال من هجرة كانت محدودة ومتحكم فيها الى هجرة مؤدى عنها وجد مكلفة وقاتلة احيانا ومفتوحة في وجه من يدفع أكثر.مما ادى الى بروز سوق للهجرة تنشط بشكل علني وتديرها شبكات عابرة للحدود عملت على خوصصة الحق في التنقل والهجرة وطلب اللجوء. إذ فرضت أثمانة باهضة تتراوح مابين 2000 أورو و 5000 أورو، وشبكات منظمة تتكون من مغاربة واسبان ومواطنين أفارقة جنوب الصحراء. (رؤساء، وسطاء وكالات أسفار وكالات لنقل الأموال ومسيري المخيمات.....).

IV. ارتفاع عدد الوفيات والجرحى خلال سنة 2018 و 2019

لوحظ من طرف المتتبعين في شؤون الهجرة ارتفاع غير مسبوق في عدد الوفيات حيث استقبل المستشفى الحسني بالناظور 244 جثة لمها جرين دون احتساب المفقودين ثم 5 وفيات بمخيمات المهاجرين سبب المرض وظروف العيش الصعبة بغابة غوروغو، والكاريار بالناظور. كما تم نقل 25 جثة لمهاجرين مغاربة ولايعرف العدد الحقيقي للمفقودين سنة 2018 .

في نونبر2019 وفي جزيرة الأنزاروتي، جزء من الأرخبيل الكناري قبالة السواحل المغربية تم انتشال 4 جثث لأشخاص قضوا غرقا في محاولة للهجرة وكلهم شباب من ضواحي الناظور ومن المزدادين بين 1980 و 1992 واثنان منهم سنة 1996، كما ان 5 ضحايا لم يتم التأكد من هويتهم قضوا غرقا في البحر المتوسط كما تم العثور على 9 جثث لأشخاص كانوا على متن قارب للهجرة يقل عن 15 مهاجرا. كما استقبل المستشفى الحسني الى غاية يونيو2019 64 حالة وفاة.

V. لعبة الإحصائيات المضللة :

غالبا ما تلجأ الدولة المغربية الى التضخيم في أعداد التوقيفات والإبعادات الساخنة للإيحاء بأن المغرب واسبانيا يواجهان ضغطا كبيرا للمهاجرين، استجداءا لتمويلات جديدة إضافية علما أن نفس المهاجر يتم ايقافه عددا من المرات. وحسب وزارة الداخلية المغربية تم احباط 88761 محاولة للهجرة وتم إيقاف 70571 مهاجرا خلال سنة 2018 أي ارتفاع بنسبة 37% عن سنة 2017. ويوم 10 فبراير صرحت السلطات الإسبانية بمليلية المحتلة أنها أوقفت 31000 قاصر عند محاولتهم التسلل لميناء المدينة. وذلك من أجل تبرير طلبها للتمويلات الأوروبية التي استعملتها لتسييج محيط المنطقة المينائية. كل ذلك للظهور أمام مؤسسات الإتحاد الأوروبي بمظهر الحريص، والدركي الأمين والاحتفاظ بهذه الورقة لإخراجها في حالة توقف التمويلات الأوروبية مما يطرح عدة تساؤلات عن عدم الحديث في الإحصائيات الرسمية عن العدد الحقيقي للوفيات والمختفين، رغم أن الأمر يتعلق بأهم الخصائص الدرامية لملف الهجرة خلال الثلاث سنوات الأخيرة. في حين يتم التضخيم في عدد عمليات الإنقاذ بوسائل قديمة. كما ان اسبانيا والمغرب يفضلان تمويل عمليات مطاردة المهاجرين وتوقيفهم وابعادهم بدل عمليات الإنقاذ وضمان الحق في الحياة. ويتم تضخيم عدد شبكات الهجرة التي تم توقيفها للبرهنة على أن السلطات تحارب هذه الشبكات في حين انه لم يتم ايقاف كبار المهربين. فخلال سنة 2018 اعلنت السلطات من توقيف 229 شبكة للهجرة وهو ما يكشف حجم وعمق هذه التجارة. وفي المقابل تتعمد الدولة نهج هذا الأسلوب اتجاه الهجرة لتظل منطقة الريف الشرقي والغربي متحكما فيها (السعيدية، رأس الماء، قرية أركمان، الناظور، الدريوش، الحسيمة.....) ومنطقة ممنوعة ومغلقة في وجه نشاط منظمات تختص في ملف الهجرة ووسائل الإعلام الدولية والوطنية (توقيف مراسل وكالة الأنباء الألمانية، منع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان من تنظيم ندوة صحفية بحضور وسائل الإعلام الدولية والوطنية حول الهجرة واللجوء بالناظور...)

إذن ثلاثة أهداف أساسية تهدف الدولة المغربية الى تحقيقهما:

الأول: الإخفاء الكلي للخروقات الممارسة في حق المهاجرين واللاجئين مع إخفاء الإحصائيات والتشكيك في مصداقيتها حتى لايتم متابعتها.

الثاني: التستر على الحقيقة المتعلقة بعدد المهاجرين المتواجدين بالناظور وبحجم التوقيفات والإبعادات والوفيات .كل ذلك من أجل التلاعب بهذه الإحصائيات والبقاء كمصدر وحيد للمعلومة في علاقة مع الشركاء بالإتحاد الأوروبي..

الثالث: السرية التامة وعدم الكشف عن حجم التمويلات المحصل عليها من طرف الدول الغربية والإتحاد الأوروبي والمانحين والممولين لصندوق الهجرة المغربي واليات صرف هذه الميزانية.

[redacted] إن على الدولة المغربية مسؤولية التعاطي الجدي مع هذه الظاهرة داخليا وخارجيا كمشكل اجتماعي وذلك بانتهاج مقاربة أمنية، اجتماعية وإنسانية تراعي المواثيق والعهود والإتفاقيات الدولية التي صادق عليها والمعمول بها دوليا . وداخليا بانتهاج مقاربة تنموية ومجالية سوسيواقتصادية في اطار جهوية ديمقراطية حقيقية تصنع سياسات عمومية تستجيب لتطلعات السكان والشباب المتضرر من الإختيارات التبعية ذات الطبيعة اللا ديمقراطية واللاشعبية للحكم و للحكومات المتعاقبة. ووضع حد للفساد والإستبداد بالتوزيع العادل للثروة... لمحاصرة الأزمة في شموليتها ووضع الفئات الشبابية ضمن الأولويات، وذلك بخلق فرص شغل قارة وآمنة تحفظ الكرامة والمساواة والعدل . **ويلخص العالم الفرنسي الديمغرافي ألفريد صوفي اشكالية الهجرة بقوله:" إما أن نرحل الثروات حيث يوجد البشر وإما أن يرحل البشر حيث توجد الثروات" ..../... فإلى متى ستستمر المغامرة بالأرواح رغم كل المخاطر.....؟؟؟؟؟**

◆ محمد الناصري

مشروع قانون المالية لسنة 2020 يعمق الفواق الاجتماعية ويحابي الفساد

في سياق قراءة مضامين مشروع قانون المالية لسنة 2020 لابد من الاشارة الى أن المغرب يمر بأزمة اقتصادية واجتماعية متصاعدة نتيجة الاختيارات السياسية اللاديمقراطية والاقتصادية النيوليبرالية. تتجلى هذه الازمة أساسا في الاختلالات المكرواقتصادية ومن أبرزها:

1. ضعف معدل النمو الاقتصادي 2.7% سنة 2019 مقابل 2.8% سنة 2018.
2. عجز ميزانية الدولة 3.5% سنة 2019 مقابل 3.7% سنة 2018.
3. الارتفاع المهول للدين العمومي 92% من الناتج الداخلي الخام سنة 2019 ما يقرب 920 مليار درهم، وفي هذا الصدد تمت تحذيرات من والي بنك المغرب من خطر الاستدانة المتزايدة، حيث ينتظر ان تصل القروض التي ستلجأ إليها الحكومة برسم مشروع قانون مالية 2020 الى 97 مليار و200 مليون درهم مقابل 76 مليار درهم سنة 2019، وستمثل القروض الخارجية 31 مليار درهم خلال سنة 2020 مقابل 27 مليار سنة 2019. وقد حذر والي بنك المغرب من إغراق الأجيال القادمة بديون لاتحتمل و من إمكانية سقوط المغرب في فخ برنامج تقويم هيكلي جديد مثل ما عرفته البلاد سنة 1983 (الندوة الصحفية لشتنبر 2019).

تعود الحكومة من جديد كسابقاتها لتقديم مشروع قانون المالية 2020 على ضوء السياق الدولي والوطني و التوجهات العامة لهذا المشروع من خلال التركيز على الحد من ميزانية الوزارات ذات الطابع الاجتماعي كالصحة و التعليم و دعم الاستثمار العام والخاص و التدابير المتخذة لإحداث مناصب الشغل خاصة للشباب في القطاعات الأمنية، وكذا الحفاظ على التوازنات المكروإقتصادية.

لكن السؤال الذي يجي طرحه في هذا الإطار هو ما هي فائدة قانون المالية؟ وما هي أهدافه أو الغرض منه؟ نظرا للرؤية المحاسباتية (vision comptable) التي تهيمن على قانون المالية لضبط التوازنات الاقتصادية والاجتماعية، فهو لا يستجيب للمتطلبات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية للمواطنين كالشغل ودعم قطاع الصحة والتعليم العمومي والحد من غلاء المعيشة....

ومن المؤكد ان مشروع قانون المالية سيصادق عليه بالأغلبية من طرف الغرفتين نظرا لميزان القوى الذي ليس في صالح القوى التقدمية والديمقراطية وكذا خضوع قانون المالية للتقنوقراطية الادارية لوزارة الاقتصاد والمالية وللطبقة المهيمنة دخل البلاد أي رأس المال المخزني.

ويتضح بعد قراءة بعض جوانب ومضامين مشروع قانون المالية لسنة 2020 انه بالفعل يكرس الفوارق الطبقية ويخدم اللوبيات المهيمنة على الإقتصاد. وسأتطرق لأهم ما جاء به مشروع قانون المالية في هذا السياق.

من خلال قراءة مشروع قانون المالية لسنة 2020 يتضح انه قانون مالية غير عادل مبني على الامتيازات و الهدايا الممنوحة للأقلية الضاغطة على حساب أغلبية الشعب، خاصة الطبقة المتوسطة وبالتالي خاضع لتوجهات المؤسسات المالية الدولية التي تراهن على القطاع الخاص باعتباره المحرك الأساسي للنمو الاقتصادي و العامل الأساسي لجلب الاستثمارات الخارجية والداخلية وخلق مناصب الشغل، غير ان الجميع يقر بما فيهم المسؤولين أنفسهم بفشل هذا الرهان و كذا بسن سياسة جبائية غير ناجعة ولا عادلة والتي طبقتها الحكومات المتتالية، على سبيل المثال اذا اخذنا الضريبة على الدخل سنلاحظ انها تصاعدية-تراجعية (progressivité régressive) فمعدلات الضريبية ترتفع على مستوى دخل الطبقة المتوسطة وتنخفض على مستوى الدخول العليا هذا يعني التشديد و الضغط على الدخل

المنخفض والمتوسط، وحيث أن 75% من عائدات الضريبية على الدخل تأتي من الأجور، فالضغط على مستوى هذه الضريبة يقع على الطبقة المتوسطة خاصة الدخل الذي يتراوح بين 4000 درهم و 12000 درهم لذلك من المفروض أن يتم تقويم هذا الحيف وإعادة اصلاح السلم (le barême).

وبالمقابل تطبيق ضريبة متساهلة (tolérante) على الدخول العليا.

على مستوى اخر كيف نقبل بسياسة جبائية مبنية على التحفيزات (les dérogations fiscales ou dépenses fiscales) والاعفاءات (Amnesties) الغير الناجعة والتي فيها كلفة مالية على ميزانية الدولة بدليل أن الموارد الضريبية لا تغطي نفقات الدولة. فالنفقات الضريبية تشكل ثقلا كبيرا على الميزانية العامة للدولة، والتكلفة الكلية للتحفيزات تقدر ب 27.8 مليار سنة 2019 مقابل 28.7 مليار درهم سنة 2018، فبين سنة 2014 و 2017 منحت الدولة مبلغا يقدر ب395 مليار درهم. وفي هذا الاطار تشكل الضريبة على القيمة المضافة (TVA 49%) من مجموع النفقات الضريبية (التحفيزات).

الشركات تستحوذ على اكثر من نصف التحفيزات، متبوعة بالأسر (الثلث)، والعقار هو أول قطاع يستفيد من التحفيزات بأكثر من ربع مجموع التحفيزات.

نستنتج من حجم التحفيزات أن حكومة سعد الدين العثماني منحت هدايا ضريبية لرجال الاعمال والمنعشين العقاريين في اطار مشروع قانون المالية الحالي بلغت 28 مليار درهم، واستحوذ قطاع العقار على نصيب الأسد من حصة هذه التحفيزات.

ويتضح إذا أن هذه النفقات الضريبية (التحفيزات) والاعفاءات اصبحت قاعدة أساسية أو أكثر من ذلك عقيدة (un crédo) في تدبير المالية العامة بالمغرب حيث أن أهدافها الأساسية ليست استرجاع الاموال المهربة، بل لتشجيع التملص الضريبي.

في ما يخص خطة لاسترجاع الاموال المهربة و على غرار التجربة الفاشلة لاسترجاع الاموال المهربة للخارج التي اعتمدت في سنة 2014، اعتمد مشروع قانون المالية لسنة 2020 على تجربة ثانية لتسوية الوضعية الضريبية لأصحاب الممتلكات في الخارج، والمتهربين من أداء الضريبة على أساس التصريح بالممتلكات التي أنشأت بالخارج قبل 30 شتنبر 2019، ومن أجل ذلك وجب التصريح بها مابين فاتح يناير 2020 و 31 اكتوبر2020،وللاستفادة من هذا الاجراء فلأشخاص المعنيون مطالبون باتباع بعض الإجراءات منها اداء المساهمة الإبرائية (la contribution libératoire) حسب السعر المحدد، وتؤذي تسوية المساهمة الابرائية الى إبراء ذمة الاشخاص المعنيين من اداء الغرامات الناتجة عن المخالفات لقانون الصرف، كما يؤدي إلى إبرائهم من أداء الضريبة على الدخل والضريبة على الشركات والغرامات عن مخالفة التصريح، وكانت الحكومة قد استرجعت 12 مليار درهم من الأموال المهربة للخارج سنة 2014 و تطمح الحكومة لإعادة هده التجربة لاسترجاع جزء من الاموال المهربة التي بلغت 400 مليار درهم، والظاهر أنه قناع قانوني لشرعنة تهريب الأموال.

في الختام فإن مشروع قانون المالية لسنة 2020 يبين بالملموس الوضعية السياسية و الاقتصادية المخجلة للمغرب، قانون مالية يكرس الفوارق الطبقية من خلال منح الامتيازات والهدايا للأغنياء و بصفة عامة للرأسمال الهجين لذلك يجب مراجعة السياسة الجبائية بشكل جذري لتعطي الأولوية للمأجورين والطبقة المتوسطة والمحتاجين وإحداث ضريبة على الثروة و تخفيض الأجور العليا لمدراء المؤسسات العمومية ولنواب البرلمان وإلغاء معاشات الوزراء والبرلمانيين، وكذا خفض ميزانية الداخلية وإدارة الدفاع الوطني قصد الرفع من ميزانية الصحة والتعليم العمومي، كما قاد نواب فيدرالية اليسار الديمقراطي هاته المعركة بالبرلمان.

◆ أمين خاجي

المادة 9 من مشروع قانون المالية 2020 تفتقد إلى المشروعية الحقوقية والدستورية والقانونية

أسالت المادة 9 من قانون المالية مدادا كثيرا، أمام تنصل الدولة من مسؤولياتها الاجتماعية، وكذا تهربها من أداء مستحقات المواطنين والمؤسسات لما في ذمتها، ونسجل في هذا السياق الموقف المشرف لنائبي فيدرالية اليسار الديمقراطي وهيئات المحامين بالمغرب ومرصد العدالة وعدة نشطاء تصدوا لمحاولات الأدوات التنفيذية تمرير هاته المادة اللادستورية.

تنص المادة 9، المعدلة، من مشروع قانون مالية 2020 على ما يلي:

"يتعين على الدائنين الحاملين لسندات أو أحكام قضائية تثقيفية نهائية ضد الدولة أو الجماعات الترابية ألا يطالبوا بالأداء إلا أمام مصالح الآمر بالصرف للإدارة العمومية أو الجماعات الترابية المعنية في حالة صدور قرار قضائي قابل لتنفيذ، يدين الدولة أو جماعة ترابية بأداء مبلغ معين، يتعين الأمر بصرفه داخل أجل أقصاه (90 يوما) ابتداء من تاريخ الإعذار بالتنفيذ في حدود الاعتمادات المالية المفتوحة بالميزانية لهذا الغرض، وفق مبادئ وقواعد المحاسبة العمومية، وألا يتم الأداء تلقائيا من طرف المحاسب العمومي داخل الآجال المنصوص عليها بالأنظمة الجاري بها العمل في حالة تقاعس الآمر بالصرف عن الأداء بمجرد انصرام الأجل المشار إليه أعلاه.

- إذا أدرجت النفقة في اعتمادات تبين أنها غير كافية، يتم عندئذ تنفيذ الحكم القضائي عبر الآمر بصرف المبلغ المعين في حدود الاعتمادات المتوفرة بالميزانية، على أن يقوم الآمر بالصرف باتخاذ كل التدابير الضرورية لتوفير الاعتمادات اللازمة لأداء المبلغ المتبقي في ميزانية السنوات اللاحقة، وذلك، في أجل أقصاه خمس (5) سنوات والشروط المشار إليها أعلاه دون أن تخضع أموال وممتلكات الدولة والجماعات الترابية للحجز لهذه الغاية."

- وتعتبر المادة 9 المذكورة مخالفة للمشروعية القانونية والدستورية وللحقوق الدولية وذلك سواء على مستوى أجل التنفيذ، أو على مستوى أموال المحكوم عليها من أجل تنفيذ المبالغ المحكوم بها:

- فعلى مستوى أجل التنفيذ في القانون الوطني فإنه:

- في الوقت الذي تنص فيه المادة 440 من قانون المسطرة المدنية على أن أجل الإعذار بالتنفيذ في مواجهة المحكوم عليهم، سواء كانوا من أشخاص القانون العام أو القانون الخاص، هو عشرة (10) أيام كحد أقصى، فإن المادة 9 تنص على أجل أقصاه تسعون (90) يوما، وهو أجل قابل للتمديد، في حالة عدم توفر الاعتمادات المرصودة في قانون المالية لهذا الغرض، ليصل إلى مدة أقصاها خمس (5) سنوات.

- وفي الوقت الذي لا يمنع قانون المسطرة المدنية، في فصوله، المتعلقة بتنفيذ الأحكام القضائية النهائية بالحجز، تحفظيا وتنفيذيا، على أموال الدولة والجماعات الترابية المملوكة لها ملكية خاصة، فإن المادة 9 المعنية جاءت لتمنع الحجز حتى على الأموال المملوكة، ملكية خاصة، للدولة والجماعات الترابية، ونقول "ملكية خاصة" لأنه من المعروف أن القانون يمنع الحجز على الأملاك المملوكة للدولة وإداراتها والجماعات الترابية ملكية عمومية"، والأملاك العمومية الممنوع الحجز عليها وتفويتها هي تلك المنصوص عليها في الظهير المؤرخ في 7 شعبان 1332 الموافق ل1 يوليو 1914 والتي من بينها، على وجه المثال:

- شواطئ البحر. والمنارات، ومجاري المياه. والآبار. والبحيرات. والترع، والحواجز والسدود والقنوات والطرق والأزقة والأسلاك التلغرافية والتلفونية. وكل الاستحكامات والتحصينات المتعلقة بالمواقع الحربية والمراكز العسكرية وتوابعها...

- وعلى مستوى الدستور:

- فإن الفصل 126 من الدستور ينص على أن " الأحكام النهائية الصادرة عن القضاة ملزمة للجميع...، ويجب على السلطات العمومية المساعدة على تنفيذ الأحكام القضائية، ومن باب أولى وأحق يوجب عليها تنفيذ الأحكام القضائية الصادرة ضدها.

- ومن جهة أخرى: لا يمنع من الحجز على أموالها حجزا تحفظيا أو حجزا تنفيذيا في إطار تنفيذ الأحكام الصادرة ضدها، ولا يعطيها أجلا خاصا للتنفيذ..

- والفصل 107 من الدستور ينص على أن " السلطة القضائية مستقلة عن السلطة التشريعية وعن السلطة التنفيذية."

وعلى مستوى الإعلانات والمواثيق المتعلقة بحقوق الإنسان:

- فإن المادة 9 المذكورة التي تمنع الحجز على أموال الدولة والجماعات الترابية في إطار تنفيذ الأحكام القضائية النهائية، لا يمكن اعتبارها إلا ماسة ب:" المبادئ الأساسية لاستقلال السلطة القضائية وهي المبادئ التي اعتمدها مؤتمر الأمم المتحدة السابع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في ميلانو يوم 26 غشت 1985" والتي من بين ما جاء فيها أنه:

- " تكفل الدولة السلطة القضائية وينص عليها دستور البلد وقوانينه. ومن واجب جميع المؤسسات الحكومية وغيرها من المؤسسات احترام ومراعاة استقلال السلطة القضائية"

- "ولا يجوز أن تحدث أية تدخلات غير لائقة، أو لا مبرر لها، في الإجراءات القضائية."

- " ويكفل مبدأ استقلال السلطة القضائية لهذه السلطة، ويتطلب منها أن تضمن سير الإجراءات القضائية بعدالة، واحترام حقوق الأطراف."

- وتبعا لما ذكر ولغيره مما يكمله، فإننا نؤكد بأن المادة 9 من مشروع قانون المالية لسنة 2020، لا يمكن اعتبارها إلا ماسة:

- بسيادة القانون.

- وباستقلال القضاء.

- وبحقوق المتقاضين.

◆ **النقيب عبد الرحمن بن عمرو**

في الحاجة لجبهة اجتماعية منسجمة

◆ **محمد بوتخساين**

إن تأسيس جبهة اجتماعية يكتسي اليوم أهمية خاصة، بل استثنائية تمليها تحولات المشهد السياسي العام في بلادنا، وما نتج عنها من اختلالات اجتماعية عميقة، بسبب السياسات النيوليبيرالية المتوحشة المتبعة، هي ذاتها التي جعلت القوى الديمقراطية والتقدمية تفكر بعمق فيما تتطلبه المرحلة الراهنة من أداة اجتماعية/ سياسية/حقوقية/ثقافية، وحدوية وفعالة تَحُول دون التشتت المضني لمجهودات القوى المناضلة في مواجهتها للرأسمال الكاسح للحقوق الاجتماعية للمواطنين، وذلك ببناء جبهة اجتماعية تستجيب حتما لحاجة فعلية للشعب المغربي، والذي يعبر عبر سيل من النضالات والحراكات المتفرقة عن سخطه تجاه المقاربات القمعية والإحسانية التي تُوَاجَه بها مطالبه الاجتماعية المشروعة. وفي نفس الوقت هي ضرورة لدرء المخاطر المحدقة بالبلاد عبر أداة تضم كل القوى التقدمية، يكون دورها هو التجميع والتوحيد والتوجيه والإشراك في النضال الملموس إلى جانب أوسع الجماهير التواقة للحرية و الكرامة و الديمقراطية، والمهم هنا هو الدفع بدينامية جديدة، ترسم آفاقا واعدة، وتتجاوز إشكالية تنازع شرعية النضال وتتجنب إشكال الخروج الانفرادي غير المجدي للقوى الديمقراطية التقدمية المناضلة لساحة الكفاح أمام قوة المتحكمين في السلطة والمال.

فإذا كانت مسؤولية الدولة واضحة بالمضي في اتجاه رفع اليد على القطاعات الاجتماعية خاصة التعليم والصحة والتشغيل، والتوجه نحو الرهان على القطاع الخاص و خوصصة كل القطاعات الاجتماعية وتحرير الأسواق دون أن تكلف نفسها حتى إحداث آليات قانونية واضحة لمراقبة الأسعار، وكذا التفكيك التدريجي للمرفق العمومي ونهج شراكة قطاع خاص/عام ....فإن القوى الديمقراطية التقدمية في حاجة ماسة لمراجعة أساليب وطرق اشتغالها الجماعي حتى تتمكن بالفعل من إيقاف مسلسل الإفساد السياسي والتفقير المجتمعي، وذلك بخوض القوى الديمقراطية لمعركة التغيير المباشر وغير المباشر لموازين القوى، بإشراك أوسع للفئات الاجتماعية في معاركها الجماعية بوحدة الرؤيا والاهداف من خلال جبهة اجتماعية متماسكة ومنفتحة على كل القوى الوطنية المناضلة.

فما يحدث اليوم في المغرب من إجراءات وتدابير تُقْدُم عليها الدولة في المجالين الاجتماعي والاقتصادي ما هي إلا ترجمة عملية للقرارات التي اتخذها صندوق النقد الدولي في إطار النظام الليبيرالي المتوحش، وموضوعيا يصعب لدرجة الاستحالة مواجهة ما يحدث، من طرف أي لون منفرداً، في ظل تفكك و تشردم القوى التقدمية المناضلة التي وعت بضرورة التوحد في إطار جبهة اجتماعية، عقدت أولى لقاءاتها التشاورية يوم السبت 9 نونبر 2019 بالمقر المركزي للكونفدرالية الديمقراطية للشغل، حيث عَبَّر الموقعون على ميثاقها عن استعدادهم الدائم والتضامني والتفاعلي للقيام بمبادرات مشتركة، تهم مجالات محاربة الفساد والاحتكار و الريع، وخوض معركة الديمقراطية و التوزيع العادل للثروة، والدفاع عن الحقوق والحريات، ومناهضة القوانين التراجعية في المجالات الاجتماعية والحقوقية والثقافية....، ولن يتأتى ذلك إلا بالنأي عن التضخم الذاتي والنرجسية والتسابق السلبي الذي لن يخدم سوى القوى الرجعية و المتحكمة في السلطة والمال.

حقوق الطفل

الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة.. معركتنا

جريدة الطريق، تقتحم عالما مليئا بالمرارة، لكنه جدير بتسليط الضوء عليه، تتبعا لمعاناة أسر الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، والإكراهات الاجتماعية لأطفال مغاربة في وضعية صعبة، وذلك تزامنا مع اليوم العالمي للطفل الذي يصادف 20 نونبر من كل سنة، من خلال استحضار هذه الفئة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والمغيبة في السياسات العمومية والنقاش المجتمعي، كنوع من الالتزام بالدفاع عن حقوق الطفل.

معاناة الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة، الثلث الصبغي نموذجا

حظيت مسالة الإعاقة باهتمام داخل دستور المغرب لسنة 2011 وذلك من خلال التنصيص على منع التمييز على أساس الإعاقة ودسترة الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأشخاص في وضعية إعاقة و قد أصدرت الدولة المغربية تبعا لهذا مجموعة من القوانين تخص المعاقين نذكر منها :

قانون إطار رقم 97.13 يتعلق بحماية حقوق الأشخاص بوضعية إعاقة و النهوض بها

قانون رقم 07.92 يتعلق بالرعاية الاجتماعية للأشخاص المعاقين

قانون رقم 10.03 يتعلق بالولوجيات

كما أكد المغرب بتصديقه على الاتفاقية الدولية لتعزيز حقوق ذوي الإعاقة على التزامه التام بترسيخ مسلسل المشاركة الاجتماعية للأشخاص في وضعية إعاقة.

إلا أن الواقع المرير يكذب كل الشعارات الزائفة فبصفتي فاعلا جمعويا مهتما بكل القضايا الحيوية التي تمس الطفل و الأسرة و المجتمع و بالخصوص أطفال التثلث الصبغي 21. ومن خلال تواصلي مع الأمهات و الأسر و كل الفاعلين المعنيين بالتثلث الصبغي 21 فإنني أسجل ما يلي:

+على المستوى الطبي و النفسي فإن مستشفياتنا تفتقر لأبسط القيم الإنسانية و النفسية في تعاملها مع الأمومة بحيث لا توجد أي استراتيجية واضحة للتكفل و الرعاية و التوجيه النفسي و الطبي للأم و الرضيع . كما أن غياب التواصل بين مصالح التوليد والأخصائيين النفسانيين و الجمعيات العاملة في هذا المجال يؤدي إلى صدمة قوية لدى الأمهات أثناء الإعلان عن ميلاد طفل مختلف. لقد أنجبت طفلا منغوليا... لقد أنجبت طفلا معاقا...فكري في إنجاب طفل اخر... هي عبارات سمعتها الأمهات أثناء لحظة الإعلان عن ميلاد طفل التثلث الصبغي21 . كما نسجل غياب الإحصاء المنتظم للمواليد الجدد مع المعلومات الخاصة بظروف الولادة و تفاصيلها.

+على المستوى الإعلامي: غياب برامج إعلامية كاملة عن اليات العناية بالطفل ذي التثلث الصبغي منذ الولادة إلى أن يصل سن التمدرس، غياب دلائل مكتوبة و مرئية و برامج توعوية تخص الطفل و الأسرة و المجتمع.

+على المستوى الاجتماعي: يشكل التكفل بطفل التثلث الصبغي بعد وفاة الأبوين المعضلة المحرجة و المؤرقة لكل أسرة يعيش فيها طفل في وضعية إعاقة، مما يجعلنا نطرح السؤال عن دور الدولة في مجال التكفل الشامل و التعويضات اللائقة عن الإعاقة مدى الحياة.

فإذا كانت الكثير من الأمراض التي تصاحب طفل التثلث الصبغي منذ ولادته (أمراض القلب،أمراض الغدة الدرقية،ترويض النطق و الترويض الحركي...) تحتاج إلى ميزانية كبيرة لمواكبة صحة و سلامة الطفل فإن الدولة المغربية تؤدي تعويضا عائليا هزيلا قدره 200 درهم عن كل طفل و يستمر هذا التعويض مدى الحياة بالنسبة إلى الشخص المعاق.هل يكفي هذا المبلغ إذا علمنا أن متوسط حاجيات الشخص في وضعية إعاقة شهريا هو 2500 درهم قابلة للارتفاع. أضف إلى ذلك أن الكثير من الأمهات تخلين عن وظائفهن ليتفرغن للعناية بأطفالهن المختلفين. إن الإعاقة تفقر الغني فما بالك بالمعوز.

إن المادة الأولى من قانون إطار رقم 97.13 تنص على أن : "تطبيقا لأحكام الفصلين 34 و 71 من الدستور و أحكام الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان و لاسيما منها الاتفاقية الدولية لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة و البروتوكول الاختياري المرفق بها اللذان صادقت عليهما المملكة المغربية يحدد هذ القانون الإطار الأهداف الأساسية التي تسعى الدولة لتحقيقها في مجال حماية حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة والنهوض بها، وتتمثل هذه الأهداف في :

_ ضمان حماية فعالة لحقوق و حرية الأشخاص في وضعية إعاقة و النهوض بها.

_ الوقاية من أسباب الإعاقة...

_ تأهيل الأشخاص في وضعية إعاقة و إعادة تأهيلهم من أجل تمكينهم من بلوغ أكبر قدر ممكن من الاستقلالية في حياتهم...

_ تيسير إدماجهم الاجتماعي و مشاركتهم في جميع مناحي الحياة...

و يعتبر تحقيق هذه الأهداف مسؤولية وطنية تقع على عاتق الدولة و المجتمع و المواطن يتعين القيام بها في إطار السياسة العامة للدولة و في نطاق القوانين و الأنظمة الجاري بها العمل."

فهل الدولة تلتزم فعلا بهذه الأهداف؟ وهل هناك برنامج اقتصادي يستوعب حاجيات كل الفئات في وضعية إعاقة؟ وهل هناك مشروع للتعويضات العائلية عن الإعاقة مدى الحياة اقتداء بالدول التي تهتم بالحياة الكريمة للمعاق؟ وهل هناك تحفيزات للقطاع الخاص من أجل إدماج مسألة الإعاقة ضمن برامجه التنموية بإعفاءات أو تخفيضات ضريبية ؟

نترك الإجابة عن هذه الأسئلة للجميع : الدولة المجتمع المدني و الحقوقي و لأسرة الطفل المعاق.

◆ عبد الرحمن العدلاني

عائلات ذوي التوحد و سؤال المستقبل

لا يختلف اثنان من عائلات ذوي التوحد أن ابنها هو بمثابة كنز وثروة لا يقدران بثمن. ثروة عاطفية، ثروة عقلية و ثروة نفسية. لهذا فمن البديهي أن يتولد لديهم قلق السؤال بخصوص المستقبل المحاط بالحيرة و الجزع والأمل، خصوصا و أن هذا الملف لم يحض بعد بالحيز الكافي في برامج بعض المؤسسات الوطنية و سياسات القطاعات الحكومية. فإذا كان المجتمع المدني بالمغرب ومنذ أكثر من عقد من الزمن قد قطع أشواطا مهمة من أجل تسليط الضوء على موضوعة التوحد، فإن العروض الموجودة و بالرغم من أهمية جزء منها، خصوصا على مستوى التخفيف من ارتفاع كلفة المواكبة والتكفل، فإنها لا ترقى إلى تطلعات عائلات ذوي التوحد و تبقى في مرحلة جنينية.

أمام هذا الوضع يزداد قلق العائلات و هم يشاهدون أبنائهم يتقدمون في السن موازاة مع ذلك تكبر الأسئلة المتعبة/ المقلقة ، و لعل من أهمها:

- كيف سيعيش طفلي حينما أغادر هاته الحياة؟

أي مكان لابني/ابنتي الراشد داخل المجتمع؟

- كيف سيعامله المحيط القريب قبل البعيد؟

- هل هناك ترسانة قانونية ضامنة للعيش الكريم و المساواة كما تضمنها القوانين و المواثيق الدولية؟

- هل الصورة النمطية للمجتمع المعيق ستتطور أم ستبقى على حالها؟

في خضم هاته التساؤلات التي تشغل بال العائلات، يعيش ذوو التوحد الحرمان والتقليص من حقهم في ممارسة الأهلية القانونية في الكثير من المجالات بطريقة تمييزية و بصيغ عديدة كالوكالة في اتخاذ القرار و نظام الوصاية و الولاية. هاته الممارسات أثرت بشكل سلبي على تمتيعهم بالعديد من الحقوق الأساسية تبتدئ بالحق في التعليم، فالحق في الصحة، بعيدا عن العلاج القسري تم الحق في التصويت و الحق في الزواج وصولا إلى الحق في تأسيس أسرة. مرد هذا كونهم يعانون من جوانب ضعف عقلية أو ذهنية أو حسية.

وتأتي المادة 216 من قانون الأسرة لتكرس هذا المفهوم، فهي تنعت الأشخاص ذوي الإعاقة الفكرية ب"العته" هذا المفهوم الذي ينتج تمثلات ثقافية و رؤى نمطية حولهم تعمق من تعرضهم للوصم و التحقير و بالتالي حرمانهم من ممارسة الحق في اتخاذ القرار و إبرام العقود و تدبير الممتلكات...

أمام هذا الوضع يبقى ذوي التوحد بعيدين كل البعد عن مبدأ المساواة أمام القانون و الذي يعتبر أحد المبادئ العامة الأساسية لحماية حقوق الإنسان، كما أنه حق تمكيني للاستفادة من باقي الحقوق السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.بالمقابل دعت المادة 12 من اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة الدول الأطراف إلى إحداث تعديل جوهري في نظمها القانونية بحيث يتم الاعتراف للأشخاص ذوي الإعاقة بالمساواة أمام القانون و بقابلية التمتع بالأهلية القانونية في شقيها: الوجوب و الأداء.

و في ملاحظاتها حول التقرير الوطني الأولي للمغرب عبرت اللجنة الدولية المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة سنة 2017 عن قلقها بسبب الوصاية التي تمارس عليهم داخل الأسر و ضعف بل و غياب وجود بدائل الدعم فيما يخص اتخاذ القرارات التي تحترم إرادتهم و أفضلياتهم.

كما دعت المغرب إلى اتخاذ ما يلزم من تدابير و إجراءات تشريعية و إدارية و غيرها من أجل ضمان مشاركة الأشخاص ذوي الإعاقة لحقوقهم في المساواة أمام القانون و اتخاذ القرار و فقا لإرادتهم الحرة.

وعليه، فإن أهمية الأهلية للأشخاص ذوي التوحد تنبع من ارتباطها بقضيتي الحماية القانونية و حرية اتخاذ القرار خاصة مع تنامي النقاش حول صيغ اتخاذ القرارات المتاحة و أهمية استبدال الحجر و القرار البديل بدعم اتخاذ القرار و احترام الأفضليات من خلال القرار المساند.

و حتى تتضح الأمور فإنه و من غير المعقول أن يحصل شاب توحدي على بطاقة وطنية تمكنه من اجتياز امتحان الباكالوريا أو امتحانات أخرى فيحصل على شواهد (الباكالوريا، الإجازة، الماستر، الدكتوراه...)و في نفس الوقت يحرم من حقه في الاختيار و اتخاذ القرار لكون المادة 216 تصنفه ضمن قائمة العته. و هكذا فالقانون الذي يسمح للقاضي في إطار السلطة التقديرية بتزويج القاصر فإنه لا يسمح له بتزويج التوحدي لأنه يدخل في خانة الشخص المعتوه.

لقد آن الأوان لتسليط الضوء على قضية ذوي التوحد بالمغرب و بالتالي فتح نقاش عمومي حول ملاءمة القانون المغربي للمواثيق الدولية خصوصا و أن ذوي التوحد أثبتوا بما لا يدع مجال للشك بأنهم أشخاص مختلفون مثلنا وقادرون مثلنا على التمتع بالحقوق وأداء الواجبات.

◆ أحمد بغدادي

عضو المكتب التنفيذي لتحالف الجمعيات العاملة في مجال إعاقة التوحد بالمغرب

متابعات ابداعية

قراءة في الشريط الأمازيغي "ثاربات ن واضو" أو "بنت الريح" للطيفة أحرار

سفرية وثائقية مقنعة على دفعتين، تلك التي حظي بها الحضور، يومه الإثنين 11 نونبر 2019، داخل فضاء سينما متحف محمد السادس بالرباط.

لقد كنا أوفياء لمقاعدنا طيلة دقائق عرض عملين من فكرة وإعداد وإخراج الرائعة لطيفة أحرار، التي أبانت أن شخصها الفني المعروف على أنه "ممثل" وجدَ له منافساً ضاريا ألا وهو لطيفة "المخرج"، عبر بوابة "الوثائقي" الصعبة الخصوصية.

بداية بالعمل الأنيق" ثاربات ن واضو " أو "بنت الريح"، والذي شاهدنا من خلاله ثقافة من بين الأعرق في تراثنا الأمازيغي، والمتمثلة في ثيمة موسيقى رقصة "أحيدوس"، لتقترح علينا فيها "لطيفة أحرار" متابعة خيط قصة شابة يافعة تدعى "سناء"، لها حلم أن تصبح فنانة، بالضبط " مايسترو" ، حيث رافقناها للتعرف عن خصوصية اللباس، وعلى أشعار أحيدوس.

مما لا يحتاج إلى برهان ولا يختلف فيه إثنان، أنه لطالما كان لمثل هذا الحلم حساسية اجتماعية تاريخيا، في الوسط الأمازيغي المحافظ عموما، ومسألة امتهان المرأة " الفن" حيث يُقرن ب " الحشومة " وتصبح تلك الفتاة في صورة مماثلة للرذيلة، إلا أن "بنت الريح" كما أسمتها الأستاذة أوضحت لنا العكس، فتوسلنا انفتاحا من قبل عائلة الفتاة للموضوع ورأينا مساندة الأب لها، و تفاني ملقّنها في دوره، وأبرز ما يثير النظر هو خفة روح الفتاة، عفويتها، ابتسامتها، وصوتها القوي، إضافة لشعاع الإصرار البادي في عيونها قبل أداءها.

عموماً فقد توفق فريق العمل، خصوصا على مستوى المزج الصوتي، فنجد تناسقا بين طبيعة الفضاء الجبلية التقليدية، و الجو العام للأصوات المأخوذة بعناية؛ بشرية كانت أو طبيعية أو أصوات الآلات ، بشكل يريح المتابع.

لاحظنا تجلي رؤية عفوية و واقعية، لا تجميل ولا تنميق في اللقطات المأخوذة، حيث نقلت المخرجة المحيط والشخصيات كما هي، وتركت لها حرية التصرف داخل الخطوط الأربعة المحددة لما يدعى "الإطار"..

لمسنا في عدة لحظات، شاعرية الواقعية الإيطالية في التصوير، و حركة الكاميرا على طريقة الموجة الجديدة الفرنسية، الشيء الذي دفع داخلنا أحاسيس جعلت الحضور يهتم أكثر بتدرج ثواني الفيلم، وصولا لختامه الذي أشفى الغليل، و"المايسترا اليافعة" فوق المسرح تتماشى بروعة مع الإيقاعات.

ولأن وراء كل نتيجة مرضية، طاقم متمكن، فقد كان في مساعد المخرج /الصورة و المونتاج :الجميل "أيوب آيت بيهي"، أما الصوت فقد جُنِّد من أجله :"محمد عتيق"، وقاد "أحمد مخشون" سفينة المكيساج، فيما كانت الترجمة من توقيع" خالد آروش"، إضافة لحضور عماد فجاج ضمن طاقم الفيلم الفني.

تقول :" منين تزاديت فمكناس مكنتيش حاضر، منين دخلت نقرا فوجدة مكنتيش حاضر، منين نجحت فالشهادة الإبتدائية ف كرسيف مكنتيش حاضر، منين بلغت وصمت أول مرة مكنتيش حاضر، منين خذيت الباكالوريا ف سلا مكنتيش حاضر، ومنين دخلت لمعهد المسرح مكنتيش حاضر، وف 10 يونيو 2009 ،أنا ! مكنتش حاضرة. "

افتتاحية كفيلة بتحريك رمال المشاعر المتحركة، كفيلة بأن تنذرك بخزان الحزن في قصة الفيلم، إفتتاحية عظيمة الإلقاء، إبتدأت تصويريا بالسكة ولحظة وصول القطار.

نمر بمعيتكم الآن، لإتمام قراءتنا، هذه المرة حول رائعة وثائقية مليئة بالأحاسيس، كيف لا؟، ونحن نتعرف عبرها على الإنسانة لا الفنانة، على ذكرى خاصة حزينة، لكنها كانت إيجابية في تحفيز ملكة الإبداع لدى المخرجة أكثر فأكثر، طيلة سنتين من الإعداد ، حديثنا سيكون عن "السفر الأخير".

هو إهداء لروح شخصية هي البطل في حياة كل منا، وبطل لطيفة مميز تدعوه "الجينرال".

عن روعة كلماتها المؤثرة المخططة بدم روحها، و التي لو كان للميكروفون الذي سجل صوتها وهي تلقيها قلبٌ، لرفض إتمامها الكلام.

لنأتي لقراءته تقنيا، فنحن أمام سينمائية وثائقية، احترام كبير وتعامل رائع في التصوير مع " الاكسسوار السينمائي"، في رمزيته وسيميائيته، ليس هناك إطار خالٍ من حقيبته، أو حذائه، أو شيء خاص به، ذكراه في كل ثانية من ذلك العمل، فتكون سترته العسكرية تارة خضراء باهتة وتارة خضراء يانعة ،الفرق هو أن الأولى :"غيابه" والثانية: "حضوره" .

تعرفنا مع الزوجة ، عن قصة التواصل بينهما بأقراص الصوت المضغوطة، ولكم كانت رائعة طريقتها في السرد، ولكم أحزننا كونه بعيدا عنهم لظروف عمله العسكرية، واشتياقهم الدائم للقطار الذي يُنزله ليلا!.

إعتُمِدت الإضاءة نصف المعتمة أثناء الشهادات، من زوجته و أبناءه :" فاطمة الزهراء، ومحمد"، و كذا أصدقاءه، المسألة التي كانت مهمة جمالياً وبلاغيا في اكتمال العمل، وكذا الاعتماد المتوازن للخارجي والداخلي في الفضاءات.

أبت الأستاذة إلا وأن يكون الرمل من قلب الصحراء، من قلب الفضاء الذي انتمى له الأب طيلة سنوات عمله...

_وهناك في كرسيف ،زارت الكاميرا بعين واقعية "بيت أحرار"، والذي مازالت به رائحة عطوره، ومازالت صورته في كل ركن بالبيت، رافق التصوير سرد لطيفة لذكريات المكان، أنْسَتنا حالته حينها، ولم نراه سوى مليئا بالحياة، بل ورأينا الأب حيّا يرزق بين أعيننا.

صحيح، لم تتوفقي لتكوني معه لحظة مغادرة الروح، لكن صدقيني لقد كرّمتِ روحه أغلى تكريم، بعمل احترافي على أعلى طراز، فيه من الحب ما يغطي الكون ويدفّيه.

وصحيح كذلك، أن سترته العسكرية فارغة من جسده اليوم، لكن نودك أن ترَيها دوماً مليئة بروحه التي تتمنى لك دوما النجاح والتوفيق.

قُدِّم لنا "السفر الأخير" تحت إشراف الدكتور حميد عيدوني والمخرج المبدع الجيلالي فرحاتي، في إطار فيلم بحث التخرج من ماستر تخصص سينما الفيلم الوثائقي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، بطاقم مجتهد ضمَّ في الصورة كلا من :"سكينة بلغيتي و أيوب آيت بيهي"، هذا الأخير الذي بصَم كذلك على "المونطاج والميكساج" ، وفي الصوت نجد: ياسين أزكري، مرورا للسينوغرافيا والمبدعين :"لطيفة أحرار وطارق الربح"، الذي شاركه يونس كرواد في الإنارة، و الترجمة "خالد آروش".

وختاما لقراءتي، فبأفضل مشهد من الناحية الفنية والتقنية، وأقساه من الناحية العاطفية، والمرفوق بموسيقى تصويرية تنهك الأرواح، وهو المشهد الختامي، فكما بدأت بالقطار ختمت به.. مشهد جمع في إطاره الحقيبة و القطار المنطلق ولم يكن ينقصه سوى "الجنرال"..

◆ عبد الله تاريك

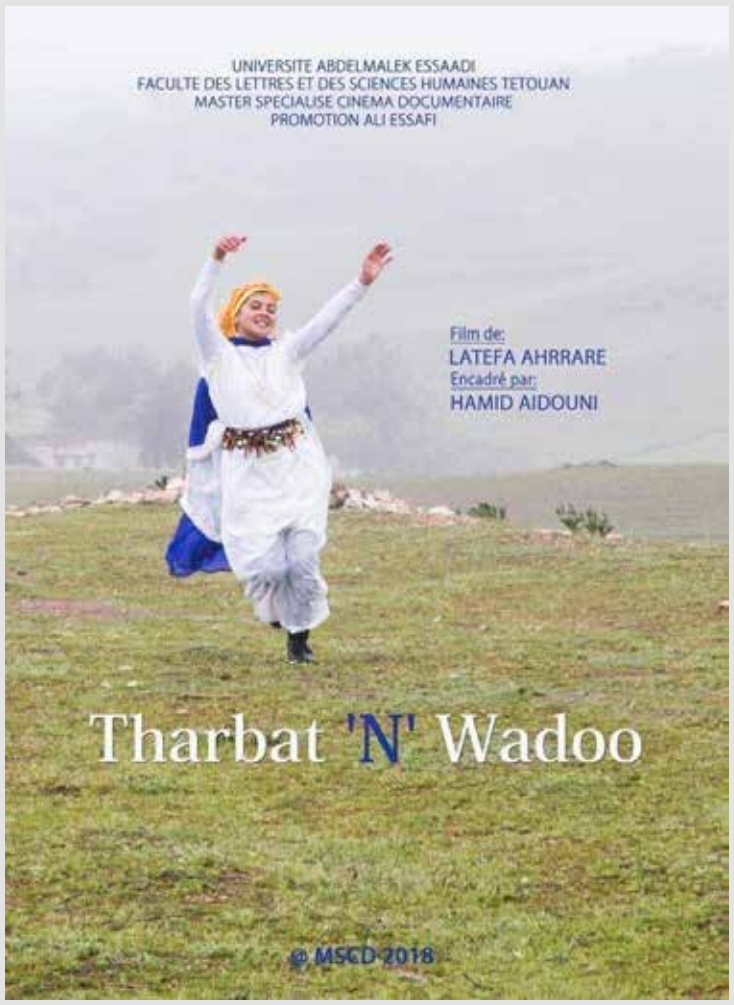

الدورة السادسة لمهرجان هوارة الدولي للمسرح

الفنون الجميلة، سلام وجمال

تم إسدال الستار عن النسخة السادسة لمهرجان هوارة الدولي للمسرح بفوز فرقة الفوانيس من وارزازات بالجائزة الكبرى للمهرجان، و المنظم بمدينة أولاد تايمة خلال الفترة الممتدة من 7 الى 10 نونبر 2019، تحت شعار "الفنون الجميلة.. سلام وجمال"، فيما عادت جائزة أحسن ممثلة للإيطالية ميكائيلا سالي موزيو و جائزة أحسن ممثل للبحريني حسن مَحَمّد و جائزة الاخراج كانت من نصيب المخرج إسماعيل الوعرابي من ورزازات عن مسرحية كاموفلاج و التي فازت كذلك بجائزة السينوغرافيا، لتعلن لجنة التحكيم عن جائزة اللجنة لفائدة دولة الجزائر عن مسرحية تيك تاك بوم .

و تكونت لجنة تحكيم هذه النسخة من الدكتور سالم كوندي رئيسا الى جانب الفنانة الاسبانية باليريا تيخيرو و الفنان المصري أحمد فؤاد و المغربي مولاي الحسن الادريسي.

و يذكر أن هذا المهرجان الذي عرف مشاركة دول من أوروبا وآسيا وأمريكا وإفريقيا، نُظم من طرف منتدى أنفاس للثقافة والفن.

◆ محمد السباعي

الملحق الثقافي الطريق (إبداع وفنون)

◆ إعداد: عبد الغني عارف

في الكتابة وطقوسها..

القاسم المشترك بين كل الكتاب هو العزلة لتصفو لهم الأجواء، ويصغوا إلى نداء الأعماق...

◆ أحمد بنميمون

إذا كانت الكتابة مفاجئة، بمعنى أنها هي التي تحتفظ بحق اختيار زمانها الذي تأتي فيه على حين غرة، وأن أقصى ما يستطيعه الكُتّابُ هو الاستعداد لها، وتقدير بعض الأوضاع التي يمكنهم أن يدعوها من خلالها، فإن أدعى ما يكون للكتابة وأجلب لها، هو القراءة المستمرة التي لا تتوقف، باعتبار القراءة إبداعاً أيضاً، فقد تغيب الكتابة طويلاً ، ولا تحضر إلا في لحظات استثارة قد لا تكون متوقعة ، من خلال حضور عبارة في الذهن، أو وقوف أمام مشهد مثير، أو هبوب رائحة تستدعي حنينا إلى زمان سابق، أو سماع موسيقى مؤثرة ، وأنا هنا لا أتكلم عن قصيدة الفكرة (التي تقيم مع عنوانها نظاما دقيقاً للكلام وتصنع ضربتها الشبيهة بضربة الرسام)* وهي غالباً قصيدة نثر قصيرة بل أعني القصيدة الطويلة، التي تكمن في نفس الشاعر أياماً بلا عدد، قبل أن تتمثل على الورق نصاً سوياً، و(عمارة يدل ارتفاع ارتفاعها على مهارة وفق هندسة دقيقة للغة)* فيظل الشاعر يقلب النظر في ما يكتبه أياماً طويلة، حتى يتعبه الأمر فيقرر هجرتها، والذهاب إلى بداية قصيدة أخرى، أو الانطلاق إلى الإمساك بنص آخر. وقد يكون لبعض الشعراء ترف الانتقال بين أماكن مختلفة متباعدة، بحثاً عن اقتناص لحظة الكتابة، لكن هناك واقع الحياة في المدينة المعاصرة، الذي يضغط على الشاعر فيجعله سجين أماكن خاصة، ضيقة أو خانقة، ومن أعماق ذلك المكان الضيق تصعد إلى الآفاق أحلام الشاعر على أجنحة الخيال، ويبتعد إلى أجواء يتهيأ له معها أن يكتب عن بحار واسعة، رخية النسيم أو زاخرة العباب، أو عن غابات ملتفة الخمائل مخضرة المروج، أو عن جبال شاهقة بيضاء القمم، أو عن بحيرات حالمة جميلة بها أسراب البجع والتمُّ والطيور الملوَّنة المحلقة، أو عن أنهار هادرة وقد كانت ينابيع ساحرة. أو عن شوارع ممتدة طويلة زاخرة بالناس أو شاغرة، مستبطناً ذاته ثائرة الأفكار أحياناً أو هادئة التداعيات والأحلام تارة.

كل ذلك وهو في غرفة هي أشبه بكهف وحي تنيره آيات الخلق وأرواح المبدعين مفكرين وفنانين.

و الكتابة في هذه الأحوال متعة وعذاب، هي متعة: من حيث ما توفره للذات من معرفة وبحث عن اسرار الكون وحركة الحياة ، و هي عذاب من حيث هي معاناة من أجل الخلق الذي لا شيء يسوِّغُه إلا ما يجده الآخرون فيه ـ وهم يتلقونه ـ من متعة جمالية فنية. فالإبداع الجمالي أو الخلق الفني إمتاع للنفس الإنسانية التي تجد في هذا أو ذاك، راحتها حتى وإن لم تفهمهما في كل ما يرميان إليه، أو فلنقل حتى ولو كانت مستويات تلقي الناس وفهمهم مختلفة، ذلك أننا نستريح للسمفونية العظيمة، وتهدأ لها عواصف الأنفس حتى بدون قدرة على تحليل أصواتها، كما أن الشعر العظيم يستغرق النفوس بموسيقى لغته، وتتابع صوره وتراقص كلماته. وعن تلك الموسيقى وتتابع الصور هذا وتراقص الكلمات، يبحث الشاعر عن لحظة يمكنه استحضار كل ذلك فيها ، فلا يتوفر زمان الخلق إلا في أوقات نادرة لا تصنع، أو متباعدة بالأحرى لا تحضر في أحيان كثيرة ولو أردنا.

سمعتُ عن شعراء لا يجلسون للكتابة إلا بعد أن يكون قد تمَّ لهم تصوُّرُ القصيدة في أذهانهم، من هؤلاء الشاعر المغربي المبدع المرحوم أحمد المجاطي الذي كان ينشغل بالقصيدة الواحدة العام كاملاً، وكان شاعراً مشّاءً، فقد كان يفكر في قصيدته وهو يمشي، كما عرفت أن الكاتب الأمريكي هيمنجواي كان يكتب وهو واقف، كما قرأت أن برنارد شو الكاتب الإيرلندي كان يكتب في حالة استلقاء على بطنه، وعرفت، وأنا تلميذ في الثانوي، عن الكاتب المصري توفيق الحكيم: أنه كتب مسرحيته أهل الكهف وهو جالس في إحدى مقاهي حي السيدة زينب، غير متضايق من نظرات الناس إليه. كما سمعتُ عن الشاعر المصري كامل الشناوي الذي كانت حانات القاهرة مأواه في ليال كثيرة، حيث كان يسجل مطالع قصائده أو شراراتها الأولى على ما يجده في متناول يده من ورق ، فإن لم يجدْ كتَبَ فوق صندوق أعواد الثقاب، ليُنهيَ القصيدة في وقت لاحق.

وأنا كتبت بعض قصائدي في فترة الشباب وأنا واقف إلى كونطوار، إن في شفشاون أو البيضاء ، لا أطوي أوراقي أو أجمعها إلا إذا حضر صديق، أو متى أحسست دبيب ابنة الكرم إلى رأسي أو إلى مكامن الأسرار في صدري، وأحيانا كنت أراجع قصائدي بالإضافة أو الحذف إذا رأيتُ انشغال تلاميذي في القسم أحياناً بامتحان كان يأخذ منهم الساعتين أو ما يقاربهما. وقد حكى الشاعر المغربي محمد الميموني أن أحد رجال الأعمال سأله (كم تستغرق القصيدة من وقتك ؟) فلما أجابه أنها قد تستغرق أحيانا وقتاً يمتد إلى الشهر والشهرين، استغرب رجل الأعمال قائلاً: (هذا وقت طويل جداً...) وكأنه يقول إن هذا أمر غير معقول. فالشهر والشهران في نظر رجل الأعمال زمن طويل وطويل جداً.

إلا أن الكتابة بما هي بذل لمجهود يتطور لدى الشاعر أو الكاتب مع تقدمه في التجربة و السن، تبتعد عن أن تكون ارتجالاً أو ما أشبه، فما أكذب تلك الجملة التي كثيراً ما رددها بعض من كتبوا عن الشعراء القدماء ووَصْفِ الإنشاد عندهم، تلك هي عبارة (... وأنشأ يقول) مما نتصور معه أن ما قاله الفرزدق وهو يشبه قول بيت واحد من الشعر بقلع ضرس، كانه من لغو القول. بل إن واصفين جعلوا أكثر الأبيات في إحدى مدائح أبي تمام صنعةً واستدعاء ذاكرة وبناء تشبيه غريب بنتَ لحظة ، بما يجعل أي حديث عن الصنعة غير مبرر، بينما يتنبه القارئ العادي إلى أن شاعر الصنعة أبا تمام قد فكَّر للأمر طويلاً. وأنشأ في الحالة المذكورة تشبيها تمثيلياً تعددت عناصر وجه الشبه فيه، واشتملت على صور استعارية واسعة مدهشة من أجل إصابة الغرض المقصود.

لا بأس في أن يجلس الشاعر إلى الكتابة طويلاً، بل ومن الواجب أن تطول جلساته في انتظار مولاته القصيدة. وقد جعل أكثر من ناقد، وفي مقدمتهم ابن رشيق القيرواني، أن سرعة الشاعر في انجاز إبداعه أمراً يحسب عليه لا له، إذ لا يقبل من شاعر أن يعتذر إن أمام التاريخ أو أمام قرائه المعاصرين له، بالسرعة التي أنجز بها عمله. فإن النقد لا ينظر إلى طقوس الكتابة ليبحث فيها عن مسوِّغات أخطاء أو إجازة ما يدل على تقصير، وإن نظر الناس، في مرحلة من مراحل التاريخ الأدبي العربي إلى بعض حالات الارتجال بإعجاب، حين كان الأمر يتعلق بالخطابة، أما والشأن الآن شأن كتابة وإعمال فكر وتأمل لا يضر إن كان يأخذ وقتاً طويلاً، فقد اختلف التقدير ومقاييس النقد.

إن القاسم المشترك بين كل الكتاب، مهما كان الفن الذي يزاولونه، هو العزلة، واختيار البعد عن الناس، لتصفو لهم الأجواء، ويصغوا إلى نداء الأعماق: أعماق بئر الذات وهم ينزحون منها ما ينزحون، ويستلهمون منها ما يستلهمون، لتكون أساليبهم قِطعا منتزعة من لحمهم ودمهم. وإلا فما معنى ما يذكره المتحدثون عن أوجاع المخاض و عذاب الخلق ؟

ننتظر عودتك ..

بالشفاء العاجل

بشكل مفاجئ نُقل الشاعر والكاتب والمثقف العضوي الأستاذ عبدالغني عارف، سكرتير التحرير لجريدة الطريق، إلى قسم الإنعاش بمستشفى خليفة بن زايد بالدار البيضاء، منذ يوم السبت الماضي 23 نونبر 2019، حيث سيخضع لإجراء عملية جراحية بعد نتائج التحاليل الطبية، متمنياتنا لأستاذنا الكبير بالشفاء العاجل وعودته الى حضن أسرته الصغيرة والكبيرة.

نستحضر هنا ما خَطَّهُ بشكل مؤثر الإعلامي عبد الصمد بن شريف في حق الأستاذ عارف :

"ماقدمه المبدع والمناضل والمربي عبدالغني عارف للثقافة محليا ووطنيا يستحق منا جميعا التنويه والتقدير والعرفان. منذ عرفته لم يشعر بكلل أوملل ولا رفع راية الاستسلام، حتى عندما تخونه صحته. أحيانا أصل به لأذكره بأن لجسمه عليه حقوقا وجب بل يتحتم أن يحترم الإيقاع المسموح به. لكنه يعاند لأنه مدمن على الحلم. واستطيع القول دون تردد، أن ما أنجزه الصديق والرفيق والأخ عبدالغني في المجال الثقافي والتربوي يتجاوز بكثير ما أنجزته بعض المؤسسات. دامت لك الصحة والعافية وطول العمر. وأتمنى لك الشفاء العاجل لتعود أكثر إصرارا وعزيمة وقوة يا أعز الناس.".

الطريق

قصة

الاسكافي

◆ عبدالجليل لعميري

1/هو الان ستخرج من مزود خبرته ما تعلمه ايام الباب من تلك الحرفة العجيبة .قال له ابوه ذات صباح خريفي بارد :"هذه الحرفة يا ولدي هي التي اطعمتكم وكستكم و حمتكم من التشرد و الجوع ...ولكنها تجعلك تنظر دائما الى الاسفل ...الى اقدام البشر لا لوجهم...".

2/ انا الان اذكر نصف ما قاله اب :" هذه الحرفة يا ولدي هي التي اطعمتكم وكستكم و حمتكم من التشرد و الجوع"،اما النصف الثاني فلا يهمني ...فوجوه البشر لا قيمة لها عندي انهم جحيمي،وجوه النعال ارحم ...

3/بعد ان نر ذلك الكتاب الذ سماه البعض "الكتاب الملعون"،انهارت كل السبل امامه،وضاقت به الارض..جردوه من عمله كموظف في التعلم بحجة انه اصبح خطرا على الناشئة، حرموه من اي تعويض رغم انه عمل لاكثر من عشر سنوات ،وصودر الكتاب اغلقت كل المجلات الجرائد ف جهه ابوابها. اصبح ممنوعا من اللقاءات النشر و العمل..

4/بعد طردي من العمل محاصرتي في الاعلام و النشر، عدت الى حرفة ابي تحت شعار (حرفة بك ليغلبوك)،و في نفس دكانه الصغير الذي ظل مغلقا منذ وفاته لبضع سنوات (وكنت ادفع اجركرائه)،اصبحت انظر للاسفل بعد عجي عن دفع كراء مسكني و دكاني . لقد وقتني الحرفة من الجوع و التشرد مؤقتا في انتظار حصار جديد...

5/صديقه القديم كاتب "محرم" لانه عرف من اين تأكل الكتف،اقترح عليه ان يترجم بعض الكتب و المقالات ،لانه عرف عمق تمكنه من اللغات :الانجليزية الفرنسية العربية.و لكنه حذره من استعمال اسمه المحظور....

6/صديقي الموظف الرسمي يخاف على اسمه من لعنتي،هو يعزني لصداقة قديمة و خدمات سابقة، وانا اقدر له مساعدته لي في محنتي من وراء حجاب في وقت عزت فيه مساعدات الاخرين الذين تساقطوا امام الحصار..لذلك اقترح علي ان اترجم مقالات وروايات باسم مستعار...لعله خجل من ان يقترح علي اسمه،ففاجأته :"لماذا لا اترجم باسمك؟"احمر وجهه و قال :"انت تعرف مستواي في اللغات الاجنبية.."قلت :"والاخرون لا يعرفون ...سأترجم باسمك على ان تناولني نصيبي فيفتي فيفتي ...اوكي" فهز رأسه في خجل.

7/أصبح الدكان مسكنه و مقر عمله،عندما تمر أمامه تراه دائما حمل كتابا او يسود أوراقا على مائدة صغرة فوقها ركام من الكتب..عيون تراقبه و الناس يتساءلون "كيف يعيش هذا الرجل و لا احد يصلح حذاءه عنده ؟"

8/صديقي المثقف الرسمي قدم لي خدمة عظيمة ،فقد احترم الاتفاق المبرم بيننا ،و ظل يوصل ل نصيبي وزيادة..بل لقد فاز بجائزة في الترجمة ،وجائزة في الرواية فاكترى لي بيتا في مدينة بعيدة ، لانه ترقى في المشهد السياسي و الثقافي و اصبح في ديوان وزير كبير تدخل لتخفيف الحصار علي بشرط ان اتوقف عن مشاغبة الدولة وكبارها...

لهذا انا الان -تلبية لشرطه-اكتب رواية "الاسكافي" لافضح فيها كل ما اعرفه ...و ليكن ما يكون....

بورتريه

الحاج إدموند عمران المالح أو الهوية المركبة

إن الرصيد والزخم النضالي والإنساني لإدموند عمران المالح (30 مارس 1917 - 15 نونبر 2010 – آسفي)، يجسد حقيقةً هوية المغربي التي عايشت مختلف الشرائح والحساسيات الفكرية والثقافية والاجتماعية للفرد المغربي الذي تجده محتفظا بمميزاته الثقافية والإثنية والدينية ...، دون أن ينكمش على ذاته وينغلق عنها، بل وينفتح على الآخر، الشيء الذي شكل هوية مغربية مركبة من مكونات متعددة ومتنوعة، هذه التركيبة التي تختلف عناصرها وتتداخل أحيانا في بعضها البعض، تكون لنا هوية مغربية موحدة، أو ما يسميها الفيلسوف الفرنسي "جيل دولوز" الهوية المركبة".

إن الحديث عن إدموند عمران المالح، هو حديث عن مغربي تتعدد مصادر هويته، فهو الأمازيغي اليهودي الذي ينحدر من قرية آقا إقليم طاطا، التي كانت تتواجد بها قبيلة كبيرة للمغاربة اليهود، الذين كانوا معروفين بالتجارة والعلم والشريعة اليهودية هناك، ولكون المنطقة تجمع مغاربة يهودا ومسلمين، على خلاف ما كانت تعرفه أغلب المدن، كمكناس، فاس، الصويرة، الدار البيضاء...إلخ من المدن العتيقة أساسا التي كان يوجد بها "الملاح"، تعايش بالمنطقة اليهود والمسلمين دون أي فرق.

وحسب ما أورده الباحث المغربي ذو ديانة اليهودية "حاييم الزعفراني" في كتاب له بعنوان " ألف عام من حياة اليهود "، أن المنطقة _التي ينحدر منها إدموند_ أنتجت حاخامات " فقهاء " كبار للديانة اليهودية، أبدعوا في التصوف والفقه اليهودي، وهو الشيء الذي تأثر به أيضا، كما أثرت في مجموعة من المغاربة اليهود وغيرهم عبر العالم.

عاش إدموند عمران المالح مسارا سياسيا ونضاليا طويلا في الحزب الشيوعي المغربي، إذ ناضل بمعية رفاقه وإخوانه المغاربة من أجل استقلال المغرب من الاستعمار الفرنسي، وكان مسؤولا في الحزب، ليقرر في الأخير إنهاء نشاطه الحزبي سنة 1959، بالإضافة إلى أن أحداث 23 مارس 1965، دفعته لمغادرة البلاد اختياريا، حيث سيعود إليها سنة 2000 بعد سنة من وفاة الملك الحسن الثاني، وبالرغم من هذه المدة الطويلة التي انفصل عنها جغرافيا عن المغرب، انتمى وجدانيا وعبر قلمه إلى المغرب، حيث كان يقول: "أنا مغربي يهودي لا يهودي مغربي، مناضل عربي وطني، أحمل بلدي المغرب أينما ذهبت"، كما اشتغل إدموند أستاذ الفلسفة وصحافي بجريدة « L'espoir, Le Monde » باسم مستعار، وهو عيسى العبدي.

ناصر أيضا إدموند عمران المالح، القضية الفلسطينة، وكان مناهضا للصهيونية، إذ قال في إحدى حواراته الأخيرة بموقع "القنطرة" التي تعبر عن موقفه من هجرة المغاربة اليهود لفلسطين، أن " إسرائيل أضرت بروحية الديانة اليهودية. إذاً هذا الأمر يتطلب منا جهدا حتى نتغلب على هذه الصورة. سبق لي أن قمت بدراسة وقلت إن هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل كارثة بالنسبة لتاريخ المغرب، ليس فقط بالنسبة لليهود أنفسهم ولكن للمغاربة ككل. كانت الثقافة اليهودية حاضرة في المغرب، لها خصوصية معينة ومن جهة أخرى مثلها مثل أي عنصر ثقافي مغربي آخر."، الشيء الذي جعله يتشبث بوطنه ويرفض الهجرة إلى فلسطين تحت أي ضغط ترغيبا أو ترهيبا في الستينات.

كما رفض إدموند توظيف "المحرقة اليهودية" كدعاية لتبرير الصهيونية استغلالها اليهود الذين ماتوا أو لم يموتوا فيها. ، واعتبرها حركة عنصرية تتباهى بقتل الأطفال والنساء والشيوخ والشباب بفلسطين، وأدان سنة 2004 مجزرة جنين التي قامت بها الصهيونية، وأصدر من خلالها بيانا تحت عنوان " أنا أتهم"، يستنكر فيها وحشية المجزرة تجاه الفلسطينيين.

وإلى جانب هذه الدينامية الإنسانية للحاج عمران كما كان يلقب، أبدع هذا الأخير في الكتابات الأدبية التي شرع فيها وعمرها آنذاك 63 سنة، هذه الكتابات لم تكن تخلو من اهتمامات ثقافية وسياسية وإنسانية، بتاريخ النضال من أجل استقلال المغرب وبالهوية الثقافية واللغة الأم والسيرة الذاتية، والتعريف بالطقوس والعادات المغربية، وكذلك بقضية التعايش والتسامح الديني في المغرب وقضية الشعب الفلسطيني، وفضح الصهيونية...

ويقول إدموند فيما يتعلق بتجربته في الكتابة أن هذا " هذا موضوع "حلو "؛ هذا أمر محير بالنسبة لي، هل أنا الذي خلقتُ الكتابة أم أن الكتابة هي التي خلقتني؟ لا أعرف، لكن ما يمكن أن أقول أن أي إنسان يمكن أن يقوم بمحاولات في الكتابة ولكن يبقى هناك فرق بين الإنسان المتعلم، الذي له تكوين معرفي جيد، و لديه أفكار ومعلومات، وقام بمجهودات ثقافية من أبحاث وقراءات كثيرة وبين إنسان آخر. هنا تظهر الثقافة عند الكتابة ويظهر الاختلاف بين كل الذين يكتبون."

ومن مؤلفاته "المجرى الثابت" عام 1980، و"أيلان أو ليل الحكي" عام 1983، و"ألف عام بيوم واحد" 1986، "عودة أبو الحكي" 1990 "أبو النور" 1995 "حقيبة سيدي معاشو" عام 1998 "المقهى الأزرق: زريريق" عام 1998 "كتاب الأم" عام 2004. وكان كتاب "رسائل إلى نفسي" (2010) آخر كتبه وهو عبارة عن تأملات تاريخية وفلسفية وشعرية.

غادر الحاج إدموند عمران المالح الحياة سنة 2010، وهو في سن 93، بعدما ترك للمغاربة إرثا يعبر عن تنوع الحضارة المغربية الضاربة في القدم، تتطلب منا جميعا أن نحافظ على وجودها على الأقل، في تنوعها واختلافها، ونجعلها مصدر من مصادر الغنى الثقافي للمغرب، الذي يتوحد بتركيبة من المميزات الدينية، الثقافية، الإثنية، واللغوية، تصب جميعها في الهوية المغربية.

◆ محسن الودواري

مسرح

مسرحية " عْيُوط الشاوية " أو: رمزية اللقب في الاستعمال الشعبي

◆ جواد المومني

للمسرح مكان رفيع و قيم بين باقي الفنون. فإلى جانب كونه رأسَهَا، فهو يُسهِم في رسم الواقع واستحضار تفاصيله، و كشف الغطاء عن بعض جزئياته؛ مما يخلق منه تلك "المرآة" الصافية، والعاكسةَ لكل عطبٍ أو خلل ما بالمجتمع. كما أنه إلى جانب هذا، أداةُ توعيةٍ بمنسوبٍ قوي على كافة الشرائح المجتمعية.

لعل التوطئة مدخلٌ لمسرحية " عيوط الشاوية " التي صاغ نصها و ألفه عبد الإلاه بنهدار، وتكلف عبد المجيد فنيش بإخراجه، كما قدمتْه للخشبة فرقةُ المسرح المفتوح، حيث شخص الأدوار: جمال العبابسي، حسن ميكيات، زهور عبروق و عبد العزيز مخلوفي.

تجدر الإشارة بدايةً إلى أن فكرة هذه المسرحية مقتبسة عن رواية " شجر الخلاطة "(سنة1995) للروائي المغربي الميلودي شغموم. و بالعودة إلى عناصر العرض المسرحي، نجده ارتكز على محورين رئيسَيْن، هما : علاقة الفن (العيطة) بالسلطة، ثم رمزية اللقب (الإسم، كَهُوية يحملُها الفرد و يتعايش معها و بها وسط المجتمع.) ف" رْقية الحرَّار " الملقبة ب " الشيخة رقية "، الشخصية المحورية في العرض، تلعب دورين اثنين غاية في الأهمية: شخصيتُها الحقيقية كامْرأة داخل البيت، ثم شخصية "المعطي الكمنجة" إبنُها بالتبني، الذي توفي في الواقع، لكنه ظل حيا في كناش الحالة المدنية لدى "القايد" (السلطة). و إذا كانت الفكرة هنا مرتبطة بقوة الحفاظ على الذات باستعمال قوة التخفي، أو قوة المراوغة، فإن قوة السلطة/المخزن (القايد المولوع بفن العيطة و في نفس الوقت هو من يمتلك القوة الفعلية لإصدار الأحكام القيمية على غيره) تدخل معها في صراع ينتهي باكتشاف الخدعة التي انطلت عليها لمدة زمنية معينة (محددة في مدة العرض المسرحي.)

و عن رمزية الإسم/اللقب، والذي منذ انطلاق العرض حتى نهايته، فقد شَدَّ انتباهَ المتلقي/الجمهور مسألةُ تركيز "القايد" أثناء حواراته المتعددة و المختلفة على ضبط أسماء كل المستجوَبين، و التَّحقق منها، والبحث في سجلاته المدنية عنها، مع استفساره المسترسل حول معنى اللقب إياه (ما اسمك الكامل؟ إسم أبيك؟ اسم أمك ؟ لقبك ؟ معناه؟ لماذا هذا اللفظ و ليسرغيره؟ هل لذلك أسباب محددة؟ ماهي؟) لذلك؛ فرمزية اللقب التي قد تحمل أبعادا مختلفة ومعان، منها: العبودية، القدحية، الجمالية، السخرية، يمكن أن تصير ببعد تشريفي، أو حتى تقديسي و سلطوي، كما يمكن من جهة أخرى أن تُعتَبَرَ "مادةً للارتقاء الاجتماعي.

و يبدو أن لقب " الكمنجة " الذي أُلصِقَ ب" المعطي" جاء بعد أن شاعت بين الساكنة درايته القوية في استعمال هذه الآلة الوترية، وتمكنه منها عند تأديته لفن العيطة. لكن لقب الشيخة (رقية) رغم كونه قدحيا، بين العامة من الناس، إلا أنه مُشرَّفٌ بين الخاصة منهم، لاعتبار الحاجة والرغبة في الاستفادة من مزاياه و " قوته الرمزية" (الغناء/العيطة، الترفيه، المتعة المشتركة...).

تبقى شخصية المعطي الكمنجة/الشيخة رقية، متفردة، لأنها عبارة عن ذات واحدة، حاملة لِلَقَبَيْنِ أو لدورين في الحياة اليومية، إن شئنا. هي ذات واحدة في نَفَسَيْن، كلٌّ يُنافح عن قيمته و عن قوته داخل مجتمع مُرْتَهِنٍ إلى التناقض. و نحن هنا، كما لو أننا في نسخة أخرى و إن بشكل ما، من رواية: " قضية الدكتور جيكل و السيد هايد الغريبة " للكاتب الأسكتلندي: روبرت لويس ستيفنسون، حيث الذات/النفس البشرية في صراعها المستمر والأبدي بين طبيعتيْ: الخير و الشر.

استطاعت مسرحية: "عيوط الشاوية" أن تلامس جرحا اجتماعيا عميقا، أبرزت من خلال التعرية عليه دور الفن في احتضان الصوت الآخر غير المسموع، لكنه الحامل للرسالة القيمة النبيلة، ذات الأهداف والخلفيات الجريئة.

حكي

حفلة الحياة

◆ عبير ابراهيمي

عادت "س.د" الى المنزل بعد يوم شاق متعب، فتحت الباب لتجد في صندوق الرسائل بطاقة دعوة للإحتفال بالسنة الجديدة التي تحل يوم غد من طرف مجهول تحت مسمى القس، في بادئ الأمر لم تعر الرسالة اهتمام، لكن ماهي الا لحظات حتى أعادت الشريط، الاسم الموقع " القس" حفز شيئا ما في ذاكرتها شيء من الماضي اعادها الى سنوات الجامعة، اصبح لون بشرتها مائلا الى الإصفرار و نبضات قلبها بدأت تتصاعد، أخذت الدعوة ثم خلدت الى النوم، وفي صباح اليوم الموالي كانت قد اتخذت قرارها بأن تذهب إلى الحفل، ارتدت فستانها الأسود ، ذاك الفستان الذي لم ترتديه منذ حفل تخرجها، وضعت أحمر شفاهها الداكن، تجهزت ثم استقلت سيارة أجرة متجهة نحو العنوان الوارد في الدعوة.. إنه ذات البيت الذي كانت كلما مرت بجانبه هي وزملاؤها، قالت سيكون هذا البيت الفاخر الذي يشبه قصور الأندلس العريقة ملكا لي يوما. رافقتها الخادمة إلى قاعة الحضور لتصدم بالحاضرين.

إنهم زملاؤها أيام الدراسة الذين انقطعت اخبارهم منذ زمن بعيد، مازالت ملامحهم راسخة في ذاكرتها و لكل منهم ذكرى معها.. بدأت الأحداث تتشابك في ذهنها لكنها بقية عاجزة على فهم مايحدث، شأنها شأن الحاضرين الذين لا يملكون أي فكرة عن من دعاهم.

وبعد مرور دقائق معدودات سُمِعَ صوت الكعب العالي وهو يعزف لحن الجرأة، إمرأة طويلة القامة، جميلة القوام، شعرها أسود يبلغ ركبيتها، عيناها سوداوتين كبيرتين وجذابتين، مليحة الوجه، لم يستطع أحد التعرف عليها.

ـــ جميعكم تحاولون التعرف علي، لكن لن يقوى أي منكم على فعل ذلك، انتم لا تعرفونني لست جزأ من ماضيكم (تمتمت في اعتقادكم)، ربما أنا حاضركم او مستقبلكم، على أي حال اهلا بكم.

قالت "س.د" بنبرة غضب:

من أنت؟ و لماذا المدعوون نحن فقط؟ ولماذا هذا البيت ؟ و ماذاك الاسم الغريب في الدعوة ؟

اطلقت قهقهة نابعة من الاعماق.

ـــ كنت أخالك أذكاهم لكنك خيبت ظني للاسف.. لا يهم أظن أن المنزل قد راقكم!

ـــ صرخ احد الحضور: كفي سخرية منا وأخبرينا مالذي يحدث ؟؟؟

اخذت كرسيا و جلست ثم وضعت الساق فوق الاخرى و قالت بنبرة ثقة.

ـــ اهدؤا، الاسم على الدعوة هو سبب حضوركم اليس كذلك ؟ لأنه يبوح لكم بشيء من الماضي، مذكراتكم التي تحمل ذات الاسم، المذكرات التي ألفتم ان تدونوا فيها خطاياكم، ذنوبكم، وكل مالا تجرؤون على قوله علنا وتكتبونه خلسة ليلا، كنتم دائما حريصين أن لا يقرأها أحد غيركم، لكن أود أن أخبركم أنكم لم تحسنو اخفاءها و لسوء حظكم او ربما لحسن حظكم، قد طالتها يداي.

ارتسمت ملامح الخوف و الحيرة على وجوه الحاضرين.

أكملت حديثها: كنت أزوركم كل ليلة أقرأ كل حرف بتمعن، وأركز في كل كلمة، كنت شاهدة على خطاياكم و على بشاعتكم أحيانا، وأحيانا أخرى على ازدواجيتكم، وكيف ترتدون ثوب البراءة نهارا وحين يحين الليل تكشرون عن أنيابكم وترتدون ثوب الخبث، و كيف تُبْدُونَ الكبرياء علنا في وجه من تحبون، و تهجرون النوم بعد ان غرقتم في بحر دموعكم، كنت على علم بأكاذيبكم، بنفاقكم وبخياناتكم، وفي كل مرة كنت أسعى لإصلاح ما يمكن إصلاحه. لكن مع مرور سنوات الدراسة في لمح البصر هجرتموني وهجرتم كتاباتكم، حينها علمت أنكم ازددتم سوأ عندما أصبحتم غير قادرين على مواجهة أنفسكم حين فقدتم جرأة الاعتراف بالذنب، آنذاك فقط ماعاد للذنب معنى في قاموسكم..

ورغم ذلك واضبت على زيارتكم كل ليلة عساكم تعودون الى عادتكم، عسى تأتيكم نسمة ريح توقظ روحكم من جديد ، لكن لا جدوى، طال انتظاري... و لهذا قررت ان اكشف لكم عني، و ستكون هذه اول و آخر مرة، ربما قد نلتقي فيما بعد حين تعود روحكم الطاهرة التي لم تلطخها يد الزمن الملوثة، حين تعودون قادرين على المواجهة وعلى ادراك الخطايا ... ووسط ذهول الحاضرين بكلامها و في غضون ثوان تلاشت صورتها من أمامهم و كأنها ما كانت...

شعر

الرحيل

◆ عبد الهادي حاضي

لا وقتَ للمسافرِ..
كي يصادقَ احداً
او ينكث موعداً،
راحِلٌ ابداً
لا مكان لي ..
غير ساحاتِ المدن ،
أو غُرفَ الفنادق !

تسيرُ الأنهار الى حتفها
دائماً،
ولا تموت إلا في أحضان البحار!
لا وقتَ لي..
كي أستعيد
الأغنيات القديمة؛
او ذكريات الصغار!

سائرٌ ابداً
كنـهرٍ الى حتفه
لا قبـر لي غير بحري
ولا شاهـد
غير مـوجـي..

زليخا

◆ سيليا بن مالك - الجزائر

من أفتى لك بجواز حب
زليخا
ان لم تكن يوسفيا
و ان قدّ قميصك من كل
النساء

أكبرتك
أعددت لك متكأ في روحي
يطوف عليك النبض ، تبركا
وتحصينا
ملح العين ان تساقط شوقا،
هذبته
بانعكاسك على بلوره
لؤلؤ ومرجان

ايقظت اصابعك لتعاقر
الشعر
في حاناتي
تدخنني قصيدة ،تحترق
بانفاسك
المشتعلات

ليس لي عزيز غيرك أشكيك
اليه
فاحكم حكم العادل
واسجن روحك الروح في
دواخلي
صفدها لتنهار انصهار

كيف اكذّب رؤيا القلب وقد
تجلى فيك الطهر غض مُمَرَّدٌ
يدعو الحواس للسجود في
محراب
جنونك الزاهد

زليخة العهد والهوى

امشط العمر لحظات وجد
بهوس تطايرت شظاياه
لتحرق حكمة العقل المتاهب
خلف متاريس الصمت
الرجيم

تعال متمردا تفقأ عين
المستحيل
تنخر الوجع اللذيذ
ممتطيا صهوة الضوء

تعال فانا على بعد لؤلؤتين
وشهقة
نجمة لا يخبو بريقها
تجدد العهد كل مساء

من الضفة الأخرى

الغريب

بقلم شارل بودلير

ترجمة عن الإسبانية:
عبدالناصر لقاح

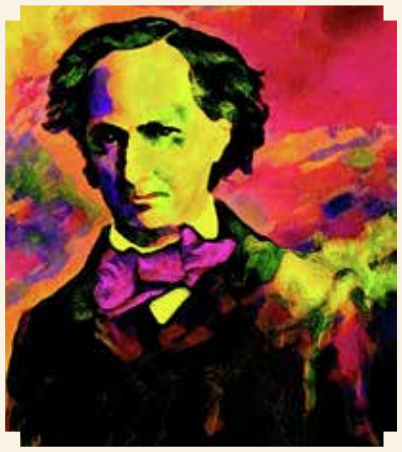

- قل أيها الرجل الغامض .
أيهم أحب إليك ..
أبوك، أمك، أختك أم أخوك؟
- ليس لدي أب ولا أم ولا أخت ولا أخ.
- أصدقاؤك؟
- تستعملون كلمة، كان معناها دائما مجهولا بالنسبة إلي.
- الوطن؟
- لا أعرف موقعه.
- الجمال؟
- أحبه عفو الخاطر، إنه الإلاهة الخالدة.
- الذهب؟
- أكرهه كما تكرهون اللّه.
- وماذا تحب إذن، أيها الغريب، العجيب؟
- أحب السحب التي تمضي... هناك.. هناك.. السحب الفاتنة.

◆◆◆◆◆◆◆

هامش:
من ديوان Spleen de Paris وهو الديوان الذي كتبه، شارل بودلير 1821/1867، وفق ما يسمى الآن قصيدة النثر Poème en prose، والذي يختلف عن ديوانه الشهير Les fleurs du mal القائم على الصرامة في العروض والقافية وشيء من التصرف البسيط في بعض الأوزان.

شعر

ألوانٌ خريفيّة

◆ شيماء لطيفي

تمسَّك بِي جيدًا ،
كُن طاهرًا كماءٍ بِهِ جرَيانْ ،
إسقِي رُوحي بِحبِّك كشربَةِ شَافيَّة
مِنْ زَمْزَمٍ ،
أرجوكَ ،
كُن لِي كمَا أنتَ ،

عفويًا كقطرةٍ مُحايدة لا لونَ لهَا ،
ولاتَكُن لِي خائنًا ،
كإنفلاتِ قبضَةِ ماءٍ !
••
لا شيءَ بِإمكانِه ،
أنْ يَنشِبَ خِصامًا ،
بينَ اللّيْلِ والحقيقةِ ،
لا الصبَاحاتِ المُشرقة ،
ولا الأيّام السّعيدة ؛
فِي اللّيل فقط ،
تبدو كمَا أنتَ ،
حقيقي جدًا ،
أمامَ صوت ضميركَ ،
وَالحزن الذي يغشَاكَ ،
فِي اللّيل فقط ،

هُناك مُحاكماتٌ عادلة ،
قاضيُها الليل ،
مُذنبها أنتَ ،
وحُكمها الحقيقة !
••
أجِدُني كعصفورةٍ ،
أستَرِقُ من ضوءِ الصّباح رِزْقِي ،
وأهمِسُ في أُذنِ السَّماء بترَنيمة
شُكرٍ ،
أُعانِقُ الأفُق ،
أحوّمُ هُنا وهُناك ،
وأجعل من أغصانِ الشُجيراتِ ،
مِحرابَ تحيةٍ لأبناء جِلدتِي ،
لا الأرض هِي موطني ،
ولا السّماء هِي لِي ،

أجِدُنِي كعصفورةٍ ،
كبيرة الطموح ،
تُعانِقُ السَّحاب بحُبٍ ،
تَسبحُ فِي علياء الأمل ،
وتَرنُو ترنيمة شُكر ،
لربّ الجمال ،
الحب ،
وملكوتِ الكونِ !
••
وَلِي في الخَريفِ ،
مَوطنًا أخضرًا ،
أحسبهُ قَلبي !
••
دَعنَا على سبيل الحُبِّ ،
نَعقد اتفاقًا أن لا تفترِقَ ،

أيادِي قلُوبِنَا ،
فالحبُّ إن يكنْ رِباطا ،
فهُو لا شيء !
••
ملامحُ وجهك ،
تُشبه الخَريف إلى حدٍ كبير ،
لكنَّك مُزهر ،
وهذَا ما يجعلني دوما مُندهشة ،
كم أنتَ فريدٌ !
••
حارِبنِي حُبًا ،
أقتُلنِي جمالا ،
أنغِم قلبِي بِرصاصِ الأمَل ،
أنْعِش رُوحي زَهرًا ،
وإيّاك أن تقتلنِي كُرهًا !

رسالة مدريد

المشهد السياسي الإسباني وصعوبات تشكيل الحكومة

◆ عبدالحميد البجوقي

عاد الشعب الاسباني يوم 10 نوفمبر من هذه السنة للمرة الرابعة إلى صناديق الاقتراع، هي المرة الرابعة خلال أربع سنوات، أي بمعدل انتخابات تشريعية كل سنة. والعودة هذه المرة إلى صناديق الاقتراع كانت بسبب فشل الاشتراكيين وحزب بوديموس في تشكيل حكومة ائتلافية بعد انتخابات 28 أبريل الأخيرة، في المقابل رفض حينها كل من حزب اليمين الشعبي وحزب سيودادانوس(مواطنون) دعم أو تسهيل تشكيل حكومة وطنية على غرار ما يجري في دول الجوار الديموقراطية. 17 من أصل 28 دولة عضو في الاتحاد الأوروبي حكوماتها ائتلافية، وبعضها تتشكل من ائتلاف حكومي بين اليمين واليسار - نموذج ألمانيا - نتائج الانتخابات الرسمية المعلن عنها أكدت استمرار حالة البلوكاج وتفاقم تعقيدات تشكيل الحكومة، وباستثناء حزب فوكس اليميني المتطرف الذي حصل على أكثر من ضعف مقاعده السابقة (من 24 إلى 52 مقعد)، واستعادة الحزب الشعبي لعدد مهم من مقاعده (من 66 إلى 89 مقعد) تستمر حالة البلقنة وتوزيع المقاعد بشكل يجعل من الأحزاب الجهوية، والانفصالية الكطلانية بالخصوص مفتاحا لتشكيل حكومة برئاسة الاشتراكي بيدرو صانشيص. الحزب الاشتراكي الذي فاز من جديد، تراجع في عدد مقاعده من 123 مقعدا في الانتخابات السابقة إلى 120 مقعدا، كما تراجع حزب بوديموس من 42 مقعدا إلى 35 مقعدا، في حين حافظت الأحزاب الجهوية والانفصالية في كاطالونيا على مقاعدها بفارق لذى بعضها لا يتجاوز المقعدين (حزب اليسار الجمهوري تراجع من 15 مقعدا إلى 13 مقعدا)، مقابل حصول أحزاب انفصالية أخرى أكثر تطرفا على تمثيلية برلمانية سواء في كاطالونيا أو في جهة الباسك، بينما تعرض حزب سيودادانوس لزلزال انتخابي بفقدانه ل47 من من 57 مقعدا التي حصل عليها في الانتخابات السابقة متراجعا إلى المرتبة الخامسة بـ 10 مقاعد.

الجديد هذه المرة أن احتمال تشكيل أول حكومة ائتلافية في تاريخ إسبانيا الديموقراطية أصبح ممكنا بعد الاتفاق الذي وقّعه كل من الحزب الاشتراكي وحزب بوديموس بعد 48 ساعة من الإعلان عن نتائج الانتخابات. سرعة الاتفاق بين الحزبين كانت مفاجئة أربكت خصوم الحزبين من اليمين واليمين المتطرف، وآفاق تجاوز البلوكاج وتشكيل الحكومة أصبح ممكنا رغم استمرار صعوبات الحصول على دعم عدد كبير من الأحزاب الجهوية، وبالخصوص حزب اليسار الجمهوري الكطلاني الذي يضمن بمقاعده 13 أغلبية كافية لتشكيل الحكومة. هذا الأخير يشترط دعمه بالعفو عن السجناء الكطلانيين في ملف الانفصال وإلغاء الأحكام الصادرة في حقهم والالتزام بمفاوضات بين الحكومة المركزية وزعماء الانفصال الكطلاني حول حق كاطالونيا في تقرير مصيرها. شروط تعجيزية يعرف الانفصاليون في كاطالونيا استحالة تحقيقها في الظرف الراهن، والوارد أن الأطراف ستتوصل إلى صيغة تسمح بتشكيل الحكومة وتلافي انتخابات خامسة سيستفيد منها بالتأكيد اليمين، وتلافي إعادة سيناريو الانتخابات الجهوية الأخيرة في الاندلس التي رغم فوز اليسار من حيث عدد الأصوات انتهت بتشكيل حكومة ائتلافية بين اليمين المحافظ ووسط اليمين واليمين المتطرف -

أهم العناصر التي ميزت هذه الانتخابات:

1- استمرار انقسام المشهد السياسي الإسباني وصعوبات تشكيل الحكومة - وليس استحالتها - وإصرار الناخب على دعوة الحزب الفائز إلى تشكيل تحالفات حكومية، وأن القطبية الحزبية لم تعد من اختيارات الشعب الاسباني على غرار أغلب الدول الأوروبية.

2- صعود سريع لحزب فوكس اليميني المتطرف وانتشاره وحصوله على تمثيلية في كل الجهات، وفي بعضها كان الحزب الفائز بعدد الأصوات والمقاعد، وأصبح بهذه النتائج من بين أكبر الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا.

3- انهيار حزب سيودادانوس (وسط اليمين)، بعد أن كان يعتبر من أحزاب السياسة الجديدة التي جاءت لتحديث المشهد السياسي الاسباني ومنافسة الأحزاب الكلاسيكية. يبدو جليا أن الناخب الغاضب على الأحزاب التقليدية، والذي صوّت على هذا الحزب في انتخابات 28 أبريل، وهو في أغلبه من وسط اليمين ووسط اليسار، عاقب الحزب على تحالفاته في تشكيل حكومات جهوية مع اليمين المتطرف في مدريد والأندلس ومورسيا.

4- حفاظ الأحزاب الجهوية على سقفها الانتخابي، واستمرار أزمة الانفصال في كاطالونيا في مقدمة القضايا التي تقلق الاسبان، إلى جانب الارهاب والهجرة، وهي العناصر التي استعملها حزب فوكس اليميني المتطرف لتجييش الغاضبين..

5- فيما يخصُّ العلاقات المغربية الاسبانية لا أعتقد أنها ستتأثر مباشرة بهذه النتائج، لكنها قد تعود إلى الواجهة كموضوع داخلي إسباني قد يعرقل سلاستها الحالية، كلنا نتذكر كيف تحولت العلاقات مع المغرب إلى موضوع انتخابي وداخلي في إسبانيا مع رئيس الحكومة السابق اليميني خوصي ماريا أثنار، وتداعيات ذلك من سحْب السفير المغربي، وأزمة جزيرة ليلى وغيرها.

-6 فوكس لن يؤثر في سياسة الدولة في المرحلة الحالية ولا القادمة، لكنه قد يكون سببا في توترات لا تخدم البلدين.

وهكذا فإن إسبانيا تدخل بعد هذه الانتخابات إلى مرحلة جديدة من تاريخها السياسي، وستشهد رغم تشكيل الحكومة الجد وارِد ومُحتمل، اهتزازات سياسية قوية سيكون فيها لليمين المتطرف والحركات الانفصالية المتطرفة في كاطالونيا والباسك دور محوري.

العراق.. ماذا بعد أشهر من الاحتجاجات؟

لا زالت الاحتجاجات في العراق مستمرة، في وقت اتفقت فيه الكتل السياسية العراقية على إبقاء السلطة الحالية، ولو استدعى الأمر استخدام القوة لإنهاء الاحتجاجات، وهو ما أدى فعلا إلى استشهاد المئات من المتظاهرين، والآلاف من الجرحى.

وقد انطلقت الاحتجاجات بمطالب اجتماعية واقتصادية، وتحولت اليوم إلى المطالبة بإسقاط النظام الحالي، وإقامة نظام جديد، مبني على انتخابات حرة ونزيهة بعيدا عن الحسابات الطائفية الضيقة، وهو ما تتعنت السلطة الحاكمة في الاستجابة إليه، معلنة عن انطلاقها في محاربة الفساد، وإعداد نظام انتخابي جديد يتيح لشرائح واسعة من الشعب العراقي الوصول إلى مجلس النواب.

ويرى المحتجون أن هذه الوعود تظل مجرد حبر على ورق، وأن الهدف منها هو ربح مزيد من الوقت، لتستمر الاعتصامات بالشوارع وبالعديد مو المباني، ويستمر معها سقوط العديد من الضحايا بين قتلى وجرحى.

وفي هذا الصدد، أشار العديد من المسؤولين العراقيين إلى وجود مجموعة مندسة ملثمة، وهي من تقوم بإطلاق النار على المحتجين بغية تأجيج الوضع أكثر فأكثر، متحدثين عن ما أسموها مؤامرة تتدخل فيها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني والإمارات.

وقد رفض المحتجون هذه الرواية مؤكدين أن القوات العراقية التي تتصدى للاحتجاجات هي من تقوم بإطلاق النار مستعملة في ذلك الذخيرة الحية.

فمنذ انطلاق الاحتجاجات العراقية، سقط عدد من المتظاهرين برصاص قناصة لا زالت هويتهم مجهولة حتى اليوم، خصوصا في ظل نفي السلطات علمها بهويتهم، وهو ما اعتبره المحتجون -في حالة التسليم بهذه الرواية- فشلا للسلطات الأمنية العراقية في حماية المتظاهرين، وهو ما دفعهم للتمسك بمطالبهم، ومعه استمرارهم في الاحتجاج إلى حين تحقيقها.

ويعيش العراق على وقع الاحتجاجات المتواصلة، والتي انطلقت منذ 2011، بعد سنوات من الغزو الأمريكي سنة 2003، تحت مسمى تحقيق الديمقراطية، ونزع أسلحته المزعومة النووية والكيميائية التي لم يظهر لها أثر، بعد إسقاط حكم صدام حسين، ليظل السؤال مطروحا حول السبب الحقيقي لهذه الحرب (الاستعمار).

فقد دخل العراق بعد هذه الحرب في دوامة من الأحداث والصراعات الطائفية، والتفجيرات المجهولة المصدر التي راح ضحيتها الآلاف من الشهداء، لتظل الحقيقة الساطعة، أنه لا يمكن للديمقراطية أن تأتي على ظهر الدبابات الأمريكية، وأن العدو الأمريكي لا يحمل معه إلا الدمار والخراب، وهو ما يجب أن تعيه شعوب المنطقة، فالشعوب وحدها صانعة التاريخ بتضحياتها البطولية، وهو ما يقدمه الشعب العراقي اليوم.

فما يميز الاحتجاجات اليوم هو أن أغلب المناطق التي تنتشر بها ذات صبغة شيعية، ضد حكومة ذات أغلبية شيعية أيضا، وهو ما يمثل اليوم تحولا في هذا البلد -الذي يتشكل من فسيفساء متنوع من الطوائف-، وهو ما يجعل الأمر يختلف عن الاحتجاجات السابقة بالعراق.

فالشعب العراقي مثله مثل جل شعوب المنطقة، يعيش وضعا مأساويا، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا أيضا، بالرغم مما يتوفر عليه من ثروات اقتصادية وعلى رأسها النفط، الذي يظل المستفيد منه هو الاستعمار الأمريكي، ليظل الشارع هو الحل لتحقيق مطالب الجماهير المحتجة بعيدا عن التجاذبات الطائفية والتي يريد الكثيرون جر العراق إليها حتى تتم استدامة الوضع به، وهو ما يجب أن يعيه العراقيون والعراقيات.

إن بناء عراق جديد مبني على الوطنية، ومحصن من الطائفية ومن كل التدخلات الأجنبية (إيران من جهة والولايات المتحدة وأتباعها من جهة أخرى)، يظل السبيل الوحيد لتحقيق مطالب الشعب العراقي، وعلى رأسها محاسبة المسؤولين على اغتيال المتظاهرين.

◆ عبد العاطي اربيعة

الدولية

ثورة 17 تشرين.. لبنان جديد يبعث من رماد الطائفية

بدأت القصة مثل حكاية عابرة، وزير الاتصالات يعلن عن نية الحكومة فرض ضريبة جديدة على المكالمات التي تتم عبر WhatsApp، وهو تطبيق واسع الاستخدام في لبنان. فخرجت مظاهرات محدودة للاحتجاج، تلاها تصريح من الوزير نفسه بالتراجع وإلغاء الضريبة المجدولة. لكن شرارة الثورة سرعان ما انتشرت، وعم لهيب الغضب ضد الطبقة الحاكمة كل البلاد. وعاد شعار الربيع العربي (2011) للظهور ليتصدر الثورة: "الشعب يريد إسقاط النظام". ونسي الناس حكاية الواتساب، وبرز شعار: "كلن.. يعني كلن" (كلهم يعني كلهم) صار هو المطلب الرئيسي والأول الذي لا يبغي الشعب عنه تحقيقه بديلا، ومعناه رحيل الطبقة السياسية بأكملها. وكأن اللبنانيين ناموا زمنا ونهضوا ليكتشفوا فجأة أنهم شعب واحد، بعد أن فرقتهم الطائفية وأحزابها المذهبية، فثاروا لتحطيم الحواجز المذهبية والطائفية المهيمنة. ما يشرح مدى ارتفاع وعي المجتمع وابتعاده بمسافات عن تكتلات الطوائف وزعمائها.

في ساحة الشهداء شاهدت سيدة تحمل بيدها مكنسة، قالت لي إنها جاءت لتكنس الطبقة الفاسدة. وتحولت جدران وسط بيروت إلى نشرة مفتوحة تتابع غضب الناس. وظهرت العديد من الرسومات على الجدران. إن ما يحدث يتجاوز وصف الانتفاضة والحراك، إنه يحمل كل معاني ورائحة الثورة. متاريس لغلق الطرق الرئيسية ومنها الطريق السيار الذي يربط الشمال بالجنوب، حواجز واشتباكات عنيفة يومية بين المتظاهرين. وقد سقط حتى اليوم ثلاثة شهداء. ويبقى التساؤل حاضرا عن القيادات الممكن أن يفرزها الحراك، حتى يسير في الخط المستقيم للوصول إلى الغايات وتحقيق المطالب والأهداف، التي يسعى إليها الشعب اللبناني الثائر ضد النظام ورموزه، التي ينعتها بالفساد ونهب خيرات البلد. وكيف يستطيع لبنان تعميم هذا الخطاب الوطني المناهض للطائفية، وينغرس في أذهان وقلوب المواطنين اللبنانيين، خطاب تأسيسي يستند على الذهاب بعيدا في تغيير ذهنية التعاطي مع تطلعات واحتياجات المجتمع وممارسة الشأن العام.

ومن الطبيعي أمام هذا التحول أن يطرح سؤال أين المثقفين وأين الفنانين من كل ما يجري...؟ لم يبق المثقفون والأدباء والشعراء في بيوتهم "العاجية"، أو منزوين داخل مقاهيهم المفضلة، مكتفين بالمراقبة والنميمية الثورية!، بل نزلوا مع الشعب والشباب إلى الساحات. والتجمعات التي تعرفها الساحات يشارك فيها أبرز المفكرين والمثقفين والفنانين. شباب وكهول ونساء وشيوخ وأطفالهم، من كل الأعمار ينزلون إلى الساحات، يتظاهرون ويحتفلون أيضا، يرقصون الدبكة ويرددون الأغاني الثورية، وسأكتشف أن أغاني الأسطورة فيروز كلها أغان ثورية، تتغنى بحب بالحياة وبحب لبنان. ونزل مارسيل خليفة وأحمد قعبور، ومطربين أخرين أقل تداولا عندنا في المغرب، مثل المطرب علاء زلزلي، وردد معه المتظاهرون أغنية وطنية قديمة له عنوانها: "بيكفي أنك لبناني".

وخرج الشاعر شوقي بزيع الذي غنى له مارسيل خليفة بعض قصائده الجميلة، وبادر بنشر صورته مع ابنته الشابة على صفحته الفيسبوكية مع تعليق كتب فيه: "في ساحة الشهداء، حيث اللبنانيون ينتفضون لكرامتهم، ويخوضون، بعد تسعة عشر عاماً من تحرير الأرض، معركتهم الأقسى والأهم من أجل تحرير الانسان من المهانة والعوز، وكسر الحلقة الجائرة لنظام الملل المذهبية المتحدة. وحيث يتولون بأنفسهم كتابة القصيدة الأجمل التي عجز الشعراء عن كتابتها..".

مبدع آخر غنى له مارسيل خليفة، هو الشاعر والاديب عباس بيضون، صرح أن: " تقديري لما جرى في كل لبنان، فهذا ما انتظرناه طويلا. إنه تحدي الشارع الأعزل للزعامات التي تملك الدولة ومعها كل مقدرات البلد. النزول الأعزل إلى الشارع هو بحد ذاته جرأة كبيرة... والحق أن نزول الناس إلى الشارع هو تحدي هذه الدولة. ثم إن جرأة الناس على الدولة هو جرأة على مالكي السلاح أيضا من أجل استعادة الدولة واستعادة القانون. إنه بمثابة إعلان الحكم المدني والعودة إلى الدستور وابتكار سلطة مدنية، هو أيضا إعلان المجتمع مدني ودولة قانونية..".

الشاعر والناقد شربل داغر الذي أقعده المرض عن المشاركة في التظاهر، اعتذر قائلا: إن "رزنامة الطاعة نفذت أيامها. زكامي ترافق مع بدء التحركات الشعبية، إلا أنه أتى بطيئا بالمقارنة مع سرعة انتظام الحشود.

يؤسفني أنني متفرج على ما يحدث، لكنني أرى إلى أناس، إلى أهلي، فأكتشفهم بدهشة وإعجاب. فقد خرج كثيرون، ولا سيما طلاب الجامعات والنساء، على طاعة الزعماء.

ومن كانوا ساكتين، يُعبرون ويتظاهرون ...الأزمة الوطنية مفتوحة... أيا كانت نتيجتها، فلن يكون ما سيصير شبيها بما سبق من أيام الطاعة".

وبعد معافاته سيظهر شربل داغر في ساحة الشهداء.

الشاعر والمسرحي يحيى جابر الذي ينزل يوميا برفقة زوجته الكاتبة والإعلامية غادة أبي سمرا إلى ساحة الشهداء مع المتظاهرين يقول يحيى جابر:

"نزلنا بمئات الألوف للساحات ورجعنا وماخفنا. مافي ولا شرطي سير ولا جندي ولا دركي. كنا امن حالنا. وكنا كلنا عمال نفاياتنا وشي عم يوزع المياه والكهربا كانت ببلاش من الشمس.. صحتنا منيحة .وإجرينا وسائل نقلنا..كنا الصناعة والزراعة لحريتنا ..كنا حكومة بلا رئيس وكنا مجلس بلا رئيس وكنا جمهورية بلا رئيس. كنا دولة ومواطنين .. كنا كلنا كلنا رؤوساء ..عاشت فخامتنا".

أما الفنانة التشكيلية ريم الجندي فلم تتأخر، وبغضب صاحت: "ما بيكفي نخلص من الطبقة الحاكمة.. لازم نحاسبها ونسترجع منها اموالنا المنهوبة".

وصرح الممثل زياد عيتاني أن الغضب الشعبي هو بمثابة "الانتصار الأول بعد زمن طويل من الاستبداد".

واعتبر الممثل رفيق علي أحمد أنه: "طالما هذا النظام لا يزال مستمراً، لا يحق لأحد ان يقول عشتم وعاش لبنان سيداً حراً مستقراً. لبنان ليس سيداً وليس حراً وليس مستقلاً، لأنّ هذه السلطة لا تمثّل الشعب. من يمثل الشعب هؤلاء الشباب الموجودون هنا على الأرض. مهما كانت النتائج الناجمة عن هذه التحركات بالنسبة لي هي إيجابية، المهم أنها بذرة وضعت في الأرض وستنبت بحبّات كثيرة".

من جانبها حملت الباحثة والكاتبة منى فياض العلم اللبناني ونزلت إلى ساحة الشهداء وسط بيروت، وطلعت على قنوات ومحطات التلفزيون والراديو داعمة ومباركة الحراك الشعبي، ومنتقدة من يقفون بوجه إرادة الشعب.

ونزلت الشاعرة والإعلامية جمانة حدا إلى ساحة الشهداء في بيروت، وتناولت الكلمة وحرضت على إسقاط النظام، مطالبة من المتظاهرين العمل على أن "نحافظ على خطاب راق ونتفادى خصوصا يا شباب الشتائم التي تتناول العرض والشرف، بلا نساء لبنان ما فيه ثورة".

وفي الوقت الذي غاب فيه زياد الرحباني والمغنية ماجدة الرومي عن الالتحاق بالحراك الشعبي من غير تفسير، كان واضحا تواري المغنية جوليا بطرس رغم أن الساحات كانت تنشد مرددة أغنيتها المشهورة عن الجنوب وعن فلسطين، وذلك لكونها مقترنة بالزواج من إلياس بوصعب وزير الدفاع وعضو الحزب الوطني الحر. لكن أغانيها من أجل المقاومة وفلسطين حاضرة، ومنها أغنيتها التي أدتها في بداية مشوارها الفني "غابت شمس الحق"، وأغنية "يا ثوار الأرض". لكن أين الأخرين والأخريات؟

جلهم لبى النداء والتحم مع الشباب المنتفضين، مثل الممثل بديع أبو شقرا، والممثلة أنجو ريحان، ووسام فارس، الذين شوهدوا ساحة الشهداء في وسط بيروت، ضمن إطار "تجمع الفنانين من أجل التغيير".

المطربة هيفا وهبي غردت على موقعها: "ما في احلى من الشعب اللبناني لمّا يكون ايد وحدة و شعاره واحد، بلا انتماء سياسي".

زميلتها الفنانة إليسا نشرت على "تويتر": "عم تابع أخبار بيروت وأهلها بفخر، رغم إنو مظاهر الشغب واضح إنها مش من شغل الشباب الأوادم اللي عم يطالبو بحياة كريمة. صار الوقت تا الناس تستعيد شوي من كرامتها".

أما الفنانة نانسي عجرم فغردت على تويتر: "كل لحظة وكل تكة قلبي مع بلدي، نحنا شعب بنستاهل نعيش وحقنا نعيش بكرامة، الله يحمي لبنان".

ورفع الفنان راغب علامة الصوت والسقف، من خلال مجموعة من التغريدات، منها: "أعيدوا الأموال المنهوبة من الشعب وكفاكم ظلما وسرقة ونهبا ومحاصصة وتآمرا وإفتراء واستعبادا.. سقط القناع بعد أن طار- البلد"، "الموضوع ليس موضوع واتساب.. الموضوع هو حاجة وجوع وبطالة ومرض وألم". "من سنتين غنيناها ونبهنا الشعب و المسؤولين.. ما حدا سمعنا.. بل في البعض تهجموا علينا وشتمونا لأني حكيت الواقع والحقيقة" .

وأعادت الفنانة كارول سماحة تسجيل النشيد الوطني بصوتها، مضيفة كلمة "النساء" إلى جانب الرجال في النشيد لتستقيم الجملة: "منبت للنساء والرجال"، وقالت كارول سماحة: "وأخيراً، من يوم اللي خلقت بلبنان لتاريخ هاللحظة، هاي أول مرة بشهد تظاهرة لبنانية حقيقية وجدية، مش لدعم زعيم أو حزب أو حركة أو تيار أو طائفة، بتمنى لما تجي انتخابات جديدة ما حدا ينسى السبب الأساسي، ليش تظاهر اليوم وبشو عم يطالب".

وصنعت الممثلة اللبنانية نادين الراسي الحدث عندما أيدت قطع الطريق وحرق الدواليب، وانتشر لها فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي تظهر فيه وهي تحمل إطارا وتحرقه وتقول: "أنا جعت صار لي سبع أيام.. وعليي ديون واتبهدلت مش قادرة..".

كل المثقفين والفنانين في لبنان أيدوا الاحتجاجات، وتكلموا بتلقائية وحماسة ورددوا الشعارات الثورية ذاتها التي يرددها الشباب والشعب اللبناني في التظاهرات. وتخطوا الحواجز الطائفية والسياسية.

حقا إنه لبنان جديد ينهض ويبعث من رماد التجويع وجمر سنوات القهر والنهب.

◆ عبد الرحيم التوراني

بوليفيا: عودة الفاشية الانقلابية

"خلف كل ليبرالي رديء يختبئ إنقلابي محتمل"

◇ حمادي البدوي

هي ترجمة لمقال كتبه ألفارو غارسيا لينيرا، نائب الرئيس البوليفي إيفو مورايس، وأحد المراجع النظرية و الإيديولوجية لمسارات التغيير في أمريكا اللاتينية ولقادة القوى اليسارية الأوروبية الجديدة، قمت بترجمته كبوصلة للمناضلين اليساريين الذين تفاعلوا مع تطورات الوضع البوليفي عشية وبعد الانقلاب على الرئيس إيفو مورايس.
المقال يحتوي على شق أول يعرض لمجريات الأمور على الأرض خلال الأسابيع الأخيرة، وشق ثان يحلل فيه أسباب لجوء الطبقة الوسطى "البيضاء" إلى "التمرد المدني الأمني" ضد الرئيس إيفو مورايس وحكومته.

مثل ضباب ليلي كثيف، تمددت الكراهية في أحياء الطبقات الوسطى الحضرية التقليدية في بوليفيا. فاضت العيون بالغضب، و بدل الصراخ، لُجأ إلى البصق. و بدل المطالبة بشيء، تم فرضه بالقوة. لم تكن الهتافات تحمل الأمل ولا الأخوة، بل كانت تدعو إلى الاحتقار والتمييز ضد الهنود. ركب المنتسبون لهذه الطبقات دراجاتهم النارية، واستقلوا شاحناتهم، وتجمعوا في أخوياتهم الكرنفالية وفي جامعاتهم الخاصة وخرجوا لإصطياد المنتفضين الذين تجرؤوا على إنتزاع السلطة منهم.

في مدينة سانتا كروز، إنتظمت الجحافل المحمولة على متن السيارات الرباعية وتسلح أعضاؤها بوسائل الإعتداء، وشرعوا في بث الرعب في نفوس الهنود الذين يلقبونهم ب"الكوياس"، والذين يعيشون في الأحياء الهامشية و في الأسواق، وانطلقوا يرددون: "يجب قتل الكوياس". وعندما كانوا يصادفون على الطريق إمرأة هندية تتدثر بلباسها التقليدي كانوا يضربونها، ويهددونها ويطلبون منها مغادرة المكان.

و في مدينة كوتشابامبا نظموا قوافل لفرض تفوقهم العرقي في المنطقة الجنوبية ، حيث تعيش الطبقات الفقيرة ، و هاجموا - كما لو كانوا أعضاء في مفرزة خيالة - آلاف النساء الفلاحات العزل اللائي كن يتظاهرن من أجل السلام. تسلحوا بمضارب البيسبول والسلاسل وقنابل الغاز، بل إن بعضهم كانوا يحملون الأسلحة النارية. وطبعا فإن المرأة هي ضحيتهم المفضلة. فقد ألقوا القبض على عمدة بلدة ريفية وقاموا بإذلالها، وجرها في الشارع، وضربها، وعندما سقطت على الأرض تبولوا عليها، وحلقوا شعرها، وهددوها بالسحل، وعندما إنتبهوا إلى أن هناك من كان يصور فعلهم الشنيع قرروا رشها بصباغة حمراء تعبيرا منهم عن إستعدادهم لسفك الدماء.

في مدينة لاباز، بدأوا يشتبهون في العاملات داخل بيوتهم، ليلجأوا للصمت كلما أحضرن الطعام إلى موائدهم. فهم يخشون منهن، لكنهم يحتقرونهن أيضًا. وفي وقت لاحق خرجوا إلى الشوارع للصراخ، ولسب إيفو، ومن خلاله كل أولئك الهنود الذين تجرأوا على بناء ديمقراطية متعددة الثقافات قائمة على المساواة. وعندما يجتمع عدد كبير منهم يقومون برفس علم "الويبالا"، علم السكان الأصليين، و بالبصق عليه، ثم حرقه. إنهم يشعرون بحقد شديد ضد هذا الرمز ولو استطاعوا لألغوا وجوده من على وجه البسيطة ولأبادوا كل من يتماهى معه.

الكراهية العرقية هي اللغة السياسية لهذه الطبقة الوسطى التقليدية. فلا تنفع في شيء شهاداتهم الأكاديمية و لا أسفارهم و لا إيمانهم أمام إنتمائهم العرقي.

إندلع كل شيء يوم الأحد 20 أكتوبر، عندما فاز إيفو مورايس في الانتخابات بأكثر من 10 نقاط على المنافس الثاني، لكنه لم يفز بنفس الأغلبية الساحقة التي كان يحصل عليها في السابق و لا بنسبة 51٪ من الأصوات. و تلك كانت الإشارة التي كانت تنتظرها القوى الرجعية، بدءًا بالمرشح اللبرالي المعارض، و مرورا بالقوى المحافظة المتطرفة، و وصولا إلى منظمة الدول الأمريكية و الطبقة الوسطى التقليدية. فاز إيفو مرة أخرى ولكنه لم يفز ب 60 ٪ من الناخبين. فقد صار ضعيفا و حان وقت الإنقضاض عليه. لم يعترف الخاسر بهزيمته. وإعتبرت منظمة الدول الأمريكية "الإنتخابات بأنها نظيفة"، لكن الإنتصار كان ناقصا و طالبت بتنظيم جولة ثانية، وهو أمر يتنافى وأحكام الدستور التي تنص على أنه إذا حصل مرشح على أكثر من 40 ٪ من الأصوات وعلى فرق بينه وبين المنافس الثاني يفوق 10 ٪ من الأصوات فهو المرشح الفائز. هكذا بدأت الطبقة الوسطى مطاردة الهنود. ففي ليلة الاثنين 21، تم إحراق خمسة من الهيئات الانتخابية التسعة، بما في ذلك بطائق الاقتراع. ودعت مدينة سانتا كروز إلى إضراب مدني شارك فيه سكان أحياء وسط المدينة، ثم إنتقل إلى الأحياء الراقية في مدينتي لاباز وكوتشابامبا. حينئذ إنطلق مسلسل الإرهاب.

بدأت العصابات شبه العسكرية في محاصرة المؤسسات، وفي حرق المقرات النقابية، وإشعال النار في منازل مرشحي و قادة الحزب الحاكم. وتم نهب منزل الرئيس الخاص؛ و في أماكن أخرى ، تم اختطاف العائلات، بما في ذلك الأطفال، وتهديدها بالجلد والإحراق إذا لم يقدم الأب الوزير أو القائد النقابي بالتخلي عن منصبه. لقد كانت ليلة "سكاكين طويلة" أعلنت فيها الفاشية عن وجودها.

وعندما إحتشدت القوات الشعبية لمقاومة هذا الانقلاب المدني وبدأت تستعيد السيطرة على المدن بمشاركة العمال، و منهم عمال المناجم، والفلاحين والسكان الأصليين وسكان الحواضر، و بدأت موازين القوى تختل لصالح القوى الشعبية، حصل تمرد الشرطة.

لأسابيع أظهر رجال الشرطة تقاعسا كبيرا وعدم كفاءة لحماية الناس البسطاء عندما كانوا يتعرضون للضرب و والاضطهاد على أيدي العصابات الفاشية. لكن اعتبارا من يوم الجمعة، كشف الكثير منهم عن مهارة فائقة في مهاجمة المحتجين الشعبيين، و إعتقالهم، وتعذيبهم، وقتلهم. طبعا، في السابق عندما كان مطلوب منهم احتواء أبناء الطبقة الوسطى، كانوا يزعمون أنهم لا يملكون القوة الكافية للقيام بذلك، لكن الآن و بعد أن صار الأمر متعلقا بقمع الهنود المتمردين، فإن الإنتشار الأمني والغطرسة والإصرار على ممارسة القمع قد تجاوزوا كل الحدود. والشيء نفسه ينطبق على القوات المسلحة. فطوال فترة إدارتنا، لم نسمح مطلقًا بقمع المظاهرات المدنية، حتى أثناء الانقلاب المدني الأول لعام 2008. والآن، وفي خضم الإضطرابات الواسعة النطاق ورغم أننا لم نطلب منها التدخل فقد أخبرنا قادتها بأنهم لن يستطيعوا القيام بأي شي لأنهم لا يتوفرون على معدات مكافحة الشغب، وبأنهم لن يتواجدوا في الشارع إلا بعد إصدار مرسوم رئاسي. لكنهم لم يترددوا في طلب / فرض الإستقالة على الرئيس إيفو مخالفين بذلك النظام الدستوري. لا بل أنهم عملوا كل ما في وسعهم لإختطافه عندما كان متوجها إلى إقليم شاباري؛ وعندما صار الإنقلاب أمرا واقعا خرجوا إلى الشوارع لإطلاق الرصاص وعسكرة المدن و قتل الفلاحين. وطبعا حدث ذلك كله من دون مرسوم رئاسي. فلحماية الهنود، كان لا بد من إصدار المرسوم، أما لقمعهم وقتلهم، فقد كانوا يحتاجون فقط الإنصياع لأوامر الكراهية العرقية والطبقية!!. وفي غضون 5 أيام فقط تم قتل أكثر من 18 قتيلاً و جرح 120 شخصا بالرصاص. و بالطبع فكل الضحايا من السكان الأصليين.

والسؤال الذي يجب أن نجيب عليه جميعًا هو كيف إستطاعت هذه الطبقة الوسطى التقليدية من إستبطان كل هذه الكراهية تجاه الشعب لتنتهي معتنقة للفاشية العنصرية ضد الهنود؟ و كيف جعلت من قوات البوليس و الجيش تتقاسم معها إحباطاتها كطبقة؟ وكيف تحولت إلى قاعدة إجتماعية للفاشية ولمسلسل تدمير الدولة وللإنحطاط الأخلاقي ؟

الجواب يكمن في رفضها لمبدإ المساواة بمعنى رفضها لمرتكزات الديمقراطية نفسها.

فقد تميزت السنوات الـ 14 الأخيرة من حكم الحركات الاجتماعية بسمة أساسية تمثلت في إرساء المساواة الاجتماعية، والحد الكبير من الفقر المدقع (من 38 إلى 15 في المائة)، وتوسيع نطاق الحقوق للجميع (الولوج المعمم للصحة، وللتعليم و الحماية الاجتماعية)، وهَنْدَنَة (indianización) الدولة (أكثر من 50 ٪ من موظفي الإدارة العمومية هم من الشعوب الأصلية، فضلا عن إنتاج سردية وطنية جديدة لا تتنكر لتاريخ الهنود)، والحد من الفوارق الاقتصادية (انخفاض فارق الدخل بين الأغنى والأفقر من 130 إلى 54)؛ بإختصار فقد تمت دمقرطة الثروة و ولوج الموارد العمومية والفرص وسلطة الدولة، بينما نما الاقتصاد من 9 ملايير دولار إلى 42 مليار، مما أدى إلى توسيع السوق و الزيادة في المدخرات الداخلية، وهو الأمر الذي سمح للكثير من الناس بإمتلاك منازلهم الخاصة وتحسين نشاطهم الشغلي.

هكذا إرتفع حجم "الطبقة الوسطى"، محددة بمتسوى الدخل، خلال عقد من الزمان، من 35 ٪ إلى 60 ٪ ؛ ومعظم المنتمين الجدد لها هم من القطاعات الشعبية الهندية. إنه مسلسل دمقرطة للموارد الاجتماعية الذي تحقق عبر بناء المساواة المادية، لكنه في الوقت نفسه أدى إلى انخفاض سريع في رؤوس الأموال الاقتصادية والتعليمية والسياسية التي كانت تملكها الطبقات الوسطى التقليدية. فإذا كان اللقب العائلي أو احتكار المعرفة أو مجموعة من الروابط العائلية الخاصة بالطبقات الوسطى التقليدية كانوا يسمحون في السابق للمنتسبين لهذه الطبقة بالحصول على المناصب في الإدارة العمومية، وبالحصول على القروض ، و رخص البناء أو المنح الدراسية...، فإن عدد الأشخاص الذين ينافسون من أجل نفس المناصب والفرص لم يتضاعف فحسب - ليخفض إلى النصف حظوظ الحصول على هذه الموارد - بل إن "الواصلين الجدد" من الطبقة الوسطى ذات الأصل الشعبي و الهندي لديهم مجموعة من الأرصدة الجديدة (اللغة الأصلية و الروابط النقابية...) تحظى بمكانة أكبر وعلى إعتراف من الدولة يمكنها من المنافسة من أجل الموارد العمومية المتاحة.

و بالتالي يتعلق الأمر بإنهيار للسمة التي ميزت المجتمع الاستعماري التي تتمثل في الإنتماء الإثني كرأس مال، أي المرتكز المتخيل للتفوق التاريخي للطبقة المتوسطة على الطبقات الخاضعة، لأنه لا يمكن فهم أن، في بوليفيا، الطبقة الاجتماعية خارج نطاق الهرمية العرقية. و إذا كان اليوم أبناء هذه الطبقة الوسطى يشكلون القوة الضاربة للتمرد الرجعي فذلك تعبير عن صرخة عنيفة لجيل جديد وجد أن إرث لقبه العائلي ولون بشرته قد تلاشى أمام قوة دمقرطة الموارد. هكذا ، و على الرغم من أنها ترفع أعلام الديمقراطية المفهومة كحق في التصويت ، فإنها في الواقع تتمرد ضد الديمقراطية بمعناها المتجسد في المساواة و في توزيع الثروة. و هذا هو السبب في بث الكراهية و نشر العنف، لأنه لا يمكن عقلنة التفوق العرقي الذي يُعاش كمحفز بدائي للجسم، و كوشم على الجلد للتاريخ الاستعماري. ومن هنا ، فإن الفاشية ليست فقط تعبيراً عن ثورة فاشلة ، بل إنها ، و يا للمفارقة، نتيجة لنجاح الدمقرطة المادية المحققة في مجتمعات ما بعد الاستعمار.

و لذلك، ليس من المستغرب أنه بينما يجمع الهنود أشلاء جثث ضحاياهم القتلى بالرصاص، يعمد جلادوهم الماديين و الأخلاقيين إلى ترويج سردية حماية الديمقراطية. لكنهم يعرفون، في الواقع، أن ما يقومون به هو حمايتهم لإمتيازات الطبقة و اللقب العائلي.

لكن الحقد العرقي لا يمكنه أن يكون أفقا لأي شي، بل هو عامل هدم فقط؛ فهو ليس أكثر من إنتقام طبقة منحطة تاريخيا وأخلاقيا بينت أنه خلف كل ليبرالي رديء يختبئ إنقلابي محتمل.

دراسة

تجربة اليسار في أمريكا اللاتينية الحلقة الثالثة

• حميد باجو

(على هامش النقاش الجاري اليوم، حول كيفية إعادة الوهج لليسار في المغرب، جريدة الطريق، تنشر هذه الدراسة حول اليسار في أمريكا اللاتينية، على حلقات، خصوصا وأن وضعنا اليوم في المغرب يشبه ما كان عليه الحال قبل عقدين في هذه المنطقة ...)

... لابد من الوقوف عند المستجدات الحالية التي بدأت تحيط بهذه الظاهرة في الآونة الأخيرة، ومن ذلك بداية الإنهاك للدورة السياسية الحكومية التقدمية في المنطقة التي انطلقت منذ انتخاب هيغو تشافيز سنة 1998، وان بشكل متفاوت من تجربة إلى أخرى، وان ما سمي "بالانعطافة نحو اليسار" هي الآن صارت تكشف عن حدودها..

يتبين ذلك واضحا مثلا، بما صار يحدث لحزب العمال الحاكم في البرازيل، كيف بدا جزء من قواعده الشعبية يبتعد عنه تدريجيا ويخرج للتظاهر ضد سياساته الحكومية بمناسبة الزيادة في اثمنة تذاكر النقل العمومي، أو التبذير في مصاريف التحضير لكاس العالم لكرة القدم.. وكذلك في ارتفاع نسب مقاطعة الانتخابات ، أو ظهور منافسين أقوياء في الساحة لهذا الحزب...

ما حدث لحزب العمال في البرازيل، هو نفسه ما صار يحدث الآن في فنزويلا، بعد أن عجز خليفة تشافيز الرئيس مادورو، على الحفاظ على نفس التعبئة الشعبية ضد خصومه من اليمين أو الاشتراكيين الديمقراطيين.. خاصة في ظل تقلص موارد النفط المتوفرة لديه مع انهيار أسعار البترول ..

إذ أن ما صار يؤاخذ على هذه الحكومات اليسارية في القارة اللاتينية عموما، برأي العديد من اليساريين الراديكاليين، أنها انحازت بشكل مكشوف في السنوات الأخيرة لصالح سياسات ليبرالية اجتماعية محضة ... حيث لم تمنع من تزايد وتيرة تغلغل الشركات المتعددة الجنسيات ولا من التوسع في إبرام اتفاقيات التبادل الحر، وتهريب الأرباح إلى الخارج من طرف الرأسمال المالي العابر للقارات، ولا تجرأت على سن سياسة ضريبية تحد من تراكم الثروات الفاحشة في يد كمشة من الأغنياء الكبار، حتى وأن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها الراعية للإمبريالية العالمية، لم يعد يقلقها ما يمارس من سياسات في تلك المنطقة.

كذلك أن التصنيع في عدد من هذه البلدان، لا زال يراوح مكانه، ولا زال قطاع استخراج وتصدير المعادن يمثل نسبة عالية في اقتصادياتها، حتى أن الاقتصادي بيير سلامة، يتحدث عن التدهور المتزايد في قيم التبادل لصالح الواردات المصنعة ذات القيمة الإضافية المرتفعة، مقارنة مع ما تصدره هذه البلدان..

كما يسجل على مستوى آخر، فشل هذه الحكومات أيضا، في فرض استقلالية المجال السياسي وتخليصه من هيمنة مراكز القرار الاقتصادي على الصعيد المحلي أو العالمي، ولا وضع حد للهيمنة الايديولوجية والثقافية لليمين، ومعه قوة الرقابة والتوجيه التي يمارسها على مختلف وسائل الاتصال وعلى المنظومة الرمزية الثقافية عموما .

كل هذا ما جعل بعض المتتبعين يتساءلون، إن كانت ظاهرة " الانعطافة نحو اليسار" التي عاشتها القارة اللاتينية منذ انتخاب هيجو تشافيز سنة 1998، قد بدأت تصاب بالإنهاك، وان الدورة السياسية التي تميزت بهيمنة الحكومات التقدمية واليسارية خلال العقدين الأخيرين ، هي الآن تشارف على نهايتها وتكشف عن حدودها ... أو أن المنطقة هي الآن على أبواب الدخول في مرحلة عكسية قد تحمل عنوان :" الانعطافة نحو اليمين"..؟؟؟؟

خاصة وانه في غياب طبقة عاملة منظمة ومستقلة تقود هذه الحركات الاحتجاجية الجديدة، إن لا واحدة من هذه الأخيرة استطاعت أن تفتح أفقا أوسع مما يسمح به النظام الرأسمالي العالمي...!!

فهذا ما يظهر مثلا واضحا في المناهضة الشعبية المتصاعدة ضد السياسة الليبرالية الاجتماعية التي تنهجها حكومة ما بعد سيلفا دا لولا في البرازيل، أو في الصعوبات التي صارت تواجه حكومة فنزويلا بعد فقدانها لموارد الريع النفطي الذي كانت تضمن به ولاء عدد من الفئات الشعبية لصالحها، أو أيضا في الخلاف المتزايد بين الأهليين في بوليفيا وحكومة مورايس، بسبب كيفية تدبيره للموارد الطبيعية في منطقتهم ...الخ ..

يتساءل بعض الماركسيين مثلا ، إن كان ما تحقق من منجزات حتى الآن، يمكن إدراجه ضمن أفق "للثورة الدائمة" ، أي حتى تحقيق التغيير الجذري في طبيعة الدولة نفسها وأشكال الملكية التي تقوم عليها، وفي علاقات الرأسمال عموما مع قوة العمل أو الطبيعة ...؟

أم إن الأمر سينتهي فقط إلى تحويل ذلك إلى مجرد واجهة ديمقراطية وانتخابية، تزعم وجود حياد للدولة، مع العلم أن كل ما يمكن القيام به من تحسينات تقدمية إضافية، لن يكون إلا في إطار ما سيسمح به الهامش المتاح من طرف النظام الرأسمالي المحلي أو العالمي المهيمن ..؟

أليس ما تعيشه المنطقة، هو مجرد نوع من "ديمقراطية ضبطية" تقوم بتوجيه وتأطير الحركات الاجتماعية والفئات الشعبية، وفي نفس الوقت تضخ أوكسجين إضافي في شكل استثمارات عمومية، لصالح رأسمال عالمي ومحلي يعاني من الأزمة ...؟

وأليس نفسه ما صار يستنكره البعض من انقلاب لعدد من الحكومات كما في بوليفيا ، عن وعودها السابقة بشان الحقوق البيئية والطبيعية للسكان الأهليين من الهنود، حيث انطلقت في تعميم نمط تنموي " انتاجوي" ، مخرب للطبيعة، همه فقط استخراج واستغلال أكثر ما يمكن من الموارد الطبيعية لتمويل سياسات الحكومة في العاصمة ، ومعها تقديم خدمة للرأسمال المحلي والأجنبي ...!!

فما يذهب إليه أحدهم مثلا فيما آلت إليه تجارب الحكومات اليسارية هناك، أن اتهم تلك الحكومات التقدمية بأنها لعبت دورا مسكنا ومفرغا لهذه الحركات المقاومة من روحها الثورية والتشجيع على عدم التسييس وسط الطبقات الشعبية المعنية ... وذلك بنجاحها في ترويض جزء كبير من هذه الحركات خلال الفترة ما بين 2000-1990..!!!

كذلك يذهب آخر إلى كون الظاهرة التقدمية الحالية في أمريكا اللاتينية، لم تكن سوى " ثورة سلبية"، وذلك بسبب طبيعة علاقتها المتناقضة مع الرأسمال، والآثار المسكنة لسياساتها وغير المشجعة على التعبئة ضد هذا الأخير..

غير أن هناك في المقابل من هم اقل تشاؤما، حين يحاولون إيجاد مبررات لهذا التعثر في المسار التقدمي للمنطقة.

ومن ذلك استحضار تاريخ الهيمنة الطويلة للولايات المتحدة، التي لن تسمح في نظرهم، بتجاوزها بسهولة، حتى لو اقتضى منها ذلك، تغيير سياستها اتجاه المنطقة عبر تغاضيها عن العديد من الإجراءات الاقتصادية التي تقوم بها هذه الحكومات، أو محاولة استمالة بعض الفئات الرأسمالية الصغيرة والمتوسطة الصاعدة ممن افرزتهم الإصلاحات الاقتصادية الجديدة.. أو حتى

مد يد المصالحة إلى بعض المسؤولين هناك، كما فعلت مؤخرا مع كوبا، وخاصة بعد وفاة فيديل كاسترو و تشافيز عدويها الأوليين هناك ... وكسب بالخصوص إلى صفها... البرازيل كقوة اقتصادية صاعدة وامبريالية محلية رديفة لها... فالولايات المتحدة هي مشغولة الآن بالمنافسة القوية للصين وجنوب شرق آسيا، وستكون محتاجة لدعم نصف القارة الجنوبي لها في هذا التحدي ..

كذلك يجد البعض الآخر العذر لهذا التعثر، بالدعوة إلى عدم تحميل تلك الحركات الاجتماعية أكثر من طاقتها، ولا انتظار منها أن تحقق مهام هي ليست من اختصاصها، ومن ذلك انجاز التحول الاشتراكي الجذري كما يحلم به الماركسيون التقليديون..!!

لان الذي حمل مشعل النضالات الاجتماعية في هذه التجارب، لم تكن هي الطبقة العاملة الصناعية أو المنجمية، أو "البروليتاريا" ، كما هو مفترض في الثورات الاشتراكية، أو هي فقط لعبت دورا هامشيا، إن لم تكن قد وقفت أحيانا في صف المعادين لبعض الحكومات اليسارية، كما فعلت نقابات عمال الغاز والبترول في فينزويلا ....

بل يذهب بعضهم حتى إلى الدعوة للتخلي عن تلك النظرة التقديسية والمتوهمة حول دور الطبقة العاملة التقليدي والطليعي في النضال.. خاصة وأن هذه الأخيرة ، وبعد ثلاثين سنة من الهيمنة النيوليبرالية، قد أصابها تحول في العمق، لا من حيث بنيتها أو طريقة تمثلاتها الثقافية، أو أشكال تعبيراتها النقابية والسياسية.

فالهجوم النيوليبرالي الذي تعرضت له اقتصاديات المنطقة، قد نجح في تفتيت وشل روح الحركة العمالية المناضلة، بجعل العمل أكثر مرونة وهشاشة وتحت هيمنة قطاع الخدمات بالخصوص.. فمنذ التسعينات دخلت الحركة النقابية التقليدية في أزمة وتراجع على صعيد كل القارة، وان أية محاولة للبحث عن نموذج للحركة العمالية الصناعية المتجذرة، كما كان الحال في السبعينات في الأرجنتين أو البرازيل أو الشيلي، ليبقى مجرد سراب أو فكرة دوغمائية لا زال البعض يتمسك بها.

لكن هذه الانتقادات لم تمنع مع ذلك، آخرين من أن يحافظوا على تفاؤلهم وثقتهم في دور الطبقة العاملة مستقبلا، ويعتبرون أن ما يجري ، هو فقط صيرورة عادية لإعادة تشكل جديد لهذه الطبقة، فرضته الحاجيات الجديدة للاقتصاد النيوليبرالي. وانه من داخل هذا التشكل الاجتماعي الجديد، ستبدأ فضاءات أخرى للعمل النقابي والنضال العمالي تبرز تدريجيا وان بصيغ مختلفة.

بل إن حجم الإضرابات العمالية التي عاشتها بعض دول المنطقة في السنوات الأخيرة ، ليؤكد في نظر أصحاب هذا الرأي، أن مقولة نهاية البروليتاريا أو نهاية العمل، هي خاطئة. وأن النضالات الطبقية للعمال لا زالت حاضرة وحتى تأخذ أشكال جديدة في المنطقة. وهي التي ستكون القاعدة الصحيحة التي سيعتمد عليها اليسار المناهض للرأسمالية في إعادة بناء نفسه.

طريق التنوير

الدِّين والعدالة والدِيمقراطيَّة

• ذ. رشيد العلوي

يتعلق السؤال المحوري هنا بوضعية الأديان في مختلف الديمقراطيات الليبراليَّة المعاصرة، لأن ما يميز الدول الليبراليَّة كما يؤكد ذلك جون راولز هو التعدديَّة: تعدديَّة الرؤى الدينيَّة للعالم، ولأنماط الحياة، **فما العمل لكي تكون هذه التعدديَّة غنية وتتعايش بدل أن تؤدي إلى انقسام الفضاء العمومي أو تشظيه؟ أي رابط يقوم بين العدالة والدِّين؟ وما محل الدِيمقراطيَّة من ذلك؟**

تحدد معظم الدول الليبراليَّة المعاصرة دور الدِّين في الدّولة بموجب الفصل الدستوري بين الدّولة والدِّين، أي بإقرار العلمانيَّة كنمط لتسيير شؤون الناس العامة. أو بعبارة أخرى الاعتراف بالحريَّة الدينيَّة كحق أساسي وكجواب سيَّاسي يستجيب لرهان التعدد الديمقراطي، ذلك أن السُّلطة السيَّاسيَّة في الدول العلمانيَّة لا تتأسس على قاعدة دينيَّة ولا تستند عليها في الوقت الذي تعتبر أن النقاش السيَّاسي والعمومي للدستور هو الكفيل بحسم القضايا الخلافية في إطار مأسسة اللعبة الدِيمقراطيَّة. رغم أن فعل المأسسة هنا لا يعني البتة أنه هو وحده يملك شرعية الحكم النهائي، لأن دائرة الرأي العمومي والفضاء السيَّاسي المعارض قد يغير موازين القوى، لذا فمن الأهمية بالنسبة لهابرماس إعادة النظر في بعض أسس الليبراليَّة السيَّاسيَّة التي تدعي بحسب راولز ومختلف الليبراليين المعاصرين القدرة على تجنب الصراعات والتدخلات الدينيَّة في الشؤون السيَّاسيَّة، وهي إعادة نظر لا تستقيم دون مناقشة الاستخدام العمومي للعقل من جهة، ومبدأ حيادية الدّولة من هذا الصراع، فهل يكفي الإقرار بحيادية الأشخاص الذين يتولون مناصب عليا في الدّولة كي نضمن عدم تدخل الآراء الدينيَّة والتصورات العقدية وغير العقدية في الشؤون السيَّاسيَّة؟

في نظريته عن العدالة اشترط جون راولز على المؤمنين المتدينين ليكونوا مقبولين وسط الرأي العام ضرورة استنادهم إلى مقدمات يؤمنون بها على قاعدة حجاجيَّة ويتحفظ على الموظفين في المناصب العليا في الدّولة أمثال القضاة... الذين يتوجب عليهم أن يكونوا علمانيين لحساسية مواقعهم الاجتماعيَّة التي يمكن أن تسمح لهم بإحداث الانشقاق في المجتمع والسُّلطة معا. ويشاطر هابرماس جون راولز في مبدأ حيادية السيَّاسي لأنه مكتسب علماني (حريَّة واسعة في المجتمع المدني وضيقة في المجال السيَّاسي)، ويقدم مثالاً على ذلك حيث يكون هناك صراع سيَّاسي بين الادعاءات التي يقدمها العلم وتلك التي يقدمها الإيمان (أمثلة ذلك البيو إثيقا: الاستنساخ، التعديل الجيني...) فإن الدّولة عليها أن تضمن بحياديتها موضوعية القرار وألا تنحاز لطرف ضد الطرف الآخر، وعليها أن تستند بالأساس إلى حريَّة المعرفة.

تستند الدّولة الدُستوريَّة المعاصرة على شرعية الدستور كأساس لضمان الدِيمقراطيَّة، لأن الدستور وحده قادر على منح المشروعيَّة وتوفيرها بموجب عنصري: المشاركة السيَّاسيَّة المتساوية لكل المواطنين؛ والبعد المعرفي للتدبير (تدبير الشأن السيَّاسي) الذي يؤسس النتائج المقبولة عقلانياً. وإذا كان هابرماس يوافق راولز في حياديَّة الدّولة فهو يختلف معه بخصوص التعبير الحر للمتدين عن أفكاره وادعاءاته في المجال العمومي (رغم أن راولز يقيد هذا التعبير). وبهذا الصدد يطرح هابرماس مجتمع "التعدديَّة الثقافيَّة" كحل لأنه: تركيبة اجتماعيَّة تسمح بتعايش العلماني والدِّيني وتتجاوز العلمانيَّة الكلاسيكيَّة الفظَّة إلى ما بعد العلمانيَّة، تلعب فيه الدّولة الدُستوريَّة دوراً محايداً يحترم كل المرجعيات ولا تحكم لطرف ضد طرف آخر، أما دور الفلسفة فهو إعادة قراءة الأديان وتصفيتها من الموروثات التقليدية التي تعوق استمرار الإنسانية في حداثتها وتحديثها. فللفلسفة دور هام في نظره لاتصالها بمجمل العلوم الاجتماعيَّة وللتراكمات التي حققتها طوال تاريخها.

يمكن اعتبار نقد هابرماس لنظريَّة العدالة التي صاغها راولز بمثابة تطوير لنظريَّة الفعل التواصلي. وذلك بعد أن تمكن من الاتصال بالفلسفة الأمريكيَّة المعاصرة وبالنظريَّة الليبراليَّة السيَّاسيَّة. وتتوجه انتقادات هابرماس إلى فحص الإمكانات العملية والفعلية لنظريَّة العدالة ومدى صدقيتها في المجال السيَّاسي العمومي على الأقل في جانبها المعياري. ويؤكد راولز على صحة وصدق الانتقادات التي وجهها له هابرماس معترفاً بها كسندٍ لتطوير بعض العناصر التي لم يكن يتوقع أنها ستثير الجدل في الليبراليَّة السيَّاسيَّة. وهي الانتقادات التي قادته إلى مراجعات عديدة تضمنها كتابه "العدالة كإنصاف: إعادة صياغة". ويتساءل هابرماس بشكل موجه ودقيق: **كيف يمكن أن يتحقق التعايش بين مواطنين مختلفين ويمتلكون تصورات عن العالم متناقضة داخل جماعة سيَّاسيَّة واحدة في ظل الشروط المعياريّة التي تقدمها الدّولة؟** يتعلق الأمر هنا بطبيعة الحال بمعياريّة الشروط التي تضعها الدّولة الدِيمقراطيَّة الدُستوريَّة، والتي ليست بأي حال شروطاً واقعيّة وصادقة بالجملة بل هي خاضعة للسياق ولطبيعة الجماعات ولمنافع الأطراف المعنية بها. لقد عمل هابرماس وراولز معاً على تجديد مفهوم الاستقلالية عند كانط ، فإذا كان مبدأ الاستقلالية يتأسس عند كانط على الذاتية، فإن الاستقلالية مع هابرماس وراولز تشترط حضور البينذاتية l'intersubjectivité. حيث انكبّ راولز على تجديد مبدأ الاستقلالية في المجال السيَّاسي، وانكبّ هابرماس على تجديد مبدأ الاستقلالية في المجال التداولي التواصلي الأخلاقي، من خلال تطويره **مبدأين في نظريَّة أخلاق المناقشة** لحل إشكالية الدِّين في الفضاء العمومي وهما :

المبدأ الأول، وحدها المعايير التي يمكن أن تحوز على رضى كل المعنيين بوصفهم أطرافاً فعالة في حوار عملي معين يمكنها ادعاء الصلاحية.

المبدأ الثاني، كل معيار لكي يكون صالحاً يجب أن يستوفي الشرط الذي بموجبه يقبل كل الأشخاص النتائج والآثار الجانبية الناجمة عن قبول الجميع بالعمل به عن طيب خاطر، وذلك مراعاة لكونيّتِه، وإن كان على حساب المصالح الخاصة لكل واحد منهم.

راب عاش الشعب، نتعاطف أم ننتقد؟

• عبد السلام الفقير

ظهرت في الآونة الأخيرة أشكال غنائية جديدة من قاع المجتمع وهامشه، تعبر بخطاب ينتمي إلى ما يمكن أن نسميهم بفئة المارقين (outsiders)، يختلف عن خطاب الدولة وخطاب التنظيمات السياسية اليسارية الذي تعودنا أنه يحمل البديل عن مجتمع القهر واللامساواة، ما يدفعنا لطرح السؤال: هل يمكن لخطاب الهامش أن يعوض خطاب التنظيم؟ وهل وجود هذا الخطاب مشروع في ظل تراجعية الخطاب النضالي التنظيمي؟

أعالج الموضوع في مستويين اثنين: من جهة أولى، المستوى السوسيولوجي من خلال حدث غنائي متمثل في تْرَاكْ رَابِي جماعي: "عاش الشعب" لكل من"ولد الكرية ولزعر والكناوي"، ومن جهة أخرى كمنشغل بالسياسي وإمكانيات ورهانات التغيير من داخل الفكر اليساري، وهو أمر ليس فيه من التناقض، ما دام الأمر رأيا مسهما في نقاش عمومي وليس دراسة علمية موثقة.

إن أغنية عاش الشعب قابلة للتحليل السوسيولوجي، ضمن إطار سوسيولوجيا الهامش، إذ يشهد المجتمع المغربي ظهور أشكال هوياتية جديدة مرافقة للتحولات المجتمعية والتطور التكنولوجي وما يتيحه من إمكانيات التعبير عن واقع الإقصاء والاستبعاد من مركز القرار والاهتمام، يمكن تسميتها ب"الهويات المارقة"، هويات تُترجم في أشكال تعبيرية مختلفة، لعل هذه الأغنية وما أحدثته من ضجة مثال على ذلك. فرغم ملاحظة ظهور موجة موسيقية جديدة قد لا نتفق معها فنيا وجماليا، إلا أنها تستفز الآراء والمواقف كما فعلت هذه الأغنية، وذلك لأسباب أساسية تكمن في اللغة والخطاب المستعمل، ثم شكل الفئة المؤدية للأغنية وتاريخها الاجتماعي(تسمية ولد الكرية نابعة من داخل السجن، وجاءت نتيجة سوابقه السجنية، فالمقصود ب"الكرية" قضبان الزنزانة، ما يعني أنه ابن للزنزانة، إذ اعتقل 28 مرة بسبب جنح مختلفة)، وثالثا النمط الموسيقى الذي يدخل ضمن لون الراب الذي يعد في أساسه تعبيرا عن تمرد على اللغة والخطاب الرسميين، وهو لون ذائع الصيت عالميا ووطنيا. لكن يظل السبب الجوهري لهذه الآثار وردود الفعل التي أحدثتها الأغنية هو الموضوع الذي يعد جريئا ومباشرا ويحمل سقفا عاليا من النقد الموجه للنظام السياسي، وله جمهور شبابي واسع. وهذا أمر يحتاج من الوقت والجهد ما يلزم لإنجاز دراسة علمية في الظاهرة.

أما إذا نظرنا إلى الموضوع وفق المشروع السياسي الذي نحمله كيسار رغم الاختلافات، وهو الموضوع الذي يهمنا هنا بشكل أكبر، فإننا ننطلق من قضية فلسفية سياسية أساسية وهي أن المسالة السياسية لابد أن تكون مسألة جمالية بالضرورة، إذ الفن ارتقاء بالمجتمع ذوقا وسلوكا. فالفراغ الذي نعيشه على المستوى السياسي والثقافي المرافق لأشكال التهميش المتعددة هو أحد محفزات ظهور هذه الأصوات المقهورة، لكن بآليات رثة لا يمكن الارتهان اليها لبناء المجتمع البديل عن الظلم والقهر والتخلف، ولا يمكن التعويل على خطابات ملغومة رغم ما تظهر من جرأة وشجاعة، كونها تعبيرات عفوية للمارقين كما سميناهم، المهمشين، تحمل حقدا ومواقف بقدر شجاعتها قد تكون مدمرة وهدامة، لكن مع ذلك وجودها حيوي داخل المجتمع. وقد يبدو هذا الموقف للبعض موقفا مصطفا إلى جانب السياسات الرسمية، وجوابنا على ذلك هو أن هذا الحكم ينم عن قصور في استيعاب الصورة التي نهدف لرسمها والموقف الذي نؤسس له.

إن تلك الأغنية لا تحمل بعدا جماليا في رأينا، سواء في الكلام أو في الموسيقى بالمعايير الفنية المجردة، أي لا تكشف عن طاقة إبداعية خلاقة، وهي تماثل أيضا ما يروج له الإعلام العمومي من أشكال تعبيرية يصعب تقبلها كفن من طرف المهتم الذي يعمل العقل والنقد، وتعكس الضحالة التي وصلنا إليها بسبب الفراغ الثقافي والسياسي، وهدم الفكر النقدي والتنويري، فهما معا: (موسيقى الهامشيين وأشكال تعبيرهم، ثم ما يتم الترويج له للترفيه في الإعلام العمومي الرسمي) شكلان لا يمكن التعويل عليهما، وهو أمر يكشف أننا ملزمون بالعمل الكثير والفعل في قاع المجتمع حتى ننتقل إلى تعبيرات سياسية مفعمة بالجمال.

إن السياسة مسؤولة عن أخذ الوطن إلى بر الأمان عبر تنمية الذوق المرافق للتغيير السياسي الديموقراطي، والآلية الأساسية في ذلك هي إعادة القيمة إلى المدرسة وفق فلسفة تربوية تعليمية لا ينفصل عنها البعد الجمالي تقطع مع سياسة التضبيع وإنتاج التقنيين، ثم انشغال المثقف والفاعل السياسي بالعمل في القاعدة الاجتماعية لخلق تغيير ثقافي يلازم بالضرورة أي تغيير سياسي ممكن.

فلسطين.. تقدمية العمق والامتداد

• محمد غريب

هل أصبحت القومية العربية تهمة؟ وهل أصبح تبني القضايا القومية وعلى رأسها القضية الفلسطينية يحتاج إلى تبرير ؟ هذا ما تدل عليه ردود الفعل الرافضة لاحتضان حزب الطليعة الديموقراطي الاشتراكي للمؤتمر الأول للجبهة العربية التقدمية . إن كلمة العربية هي المرفوضة بدعوى أن المغرب ليس بلدا عربيا.. أما حكاية التقدمية فقد تم التعتيم عليها لأن دورها لم يحن بعد.

هذا ما وصلنا إليه. فبعد الإنكفاء على القطري بدعوى معالجة المشاكل والقضايا الخاصة بكل قطر على حدة وبمعزل عن البلدان العربية الأخرى، تم الانتقال إلى الانكفاء على العرقي.. و أصبحت العروبة هي العدو الأول، أما الصهيونية فهي لا تعنينا وعلى الشعب الفلسطيني أن يحدد مصيره بنفسه. وحتى التضامن القومي و الأممي الذي كان من المسلمات تحول اليوم وفي أحسن الأحوال إلى تضامن لأسباب إنسانية.

كيف وصلنا إلى هذه الحالة ؟ إنها بكل بساطة نتيجة لسياسة التفكيك من الداخل التي تنهجها الصهيونية التي تحمل عقيدة الحرب على المجتمعات وتشجع حرب المجتمع على نفسه.. والبعثات التي تدخل بلادنا تحت غطاء التبادل العلمي والثقافي هي في حقيقة الأمر تهدف إلى كسب هذه المعركة و ذلك بالاعتماد على رجال المخابرات وخبراء علم الاجتماع والانتروبولوجيا.. وبعض دعاة العودة الى القبيلة.

إن "إسرائيل" تصور للبعض أن مستقبلهم وانتصارهم رهين بانكسار الأخر أي العربي الذي يتم تقديم صور نمطية عنه، حتى أصبحت العروبة رديفا للتعصب والكراهية والعنصرية.. والعربي هو الوهابي المتزمت والإرهابي المتخلف.. وفي المقابل هناك الأمازيغي الحر صاحب التاريخ والامجاد العريقة.

إننا في الواقع أمام تحريض سلبي على كل ما هو عربي و إسلامي يخفي عقلية عنصرية منغلقة على ذاتها تهدف إلى نفي الأخر الذي لا يوجد إلا في مخيلتها.

الإسلام في جوهره أممي والعروبة كذلك. الفقهاء المتزمتون هم من يسيئ إلى الإسلام وعرب البترودولار هم من يسيؤون إلى العروبة.. والتاريخ يؤكد أن العرب استطاعوا بناء حضارة عظيمة اعتمادا ليس على السيف بل بالحس الإنساني والتواضع المناقضين للتعصب والكراهية. لقد تزاوج العرب مع شعوب كل البلدان التي وصلوا إليها حاملين معهم دينا جديدا ورؤية جديدة للحياة وللعالم. السودان مثلا هو بلد أفارقة لم يترفع عليهم العرب على عكس الإنكليز مثلا الذين ذهبوا إلى الهند وظلوا يتعاملون باستعلاء ويرفضون الهنود. هذا هو سبب تراجع كل الامبراطوريات إلى مراكز انطلاقها. كل الامبراطوريات تراجعت إلا العرب لأنه ليس هناك عنصرية في ثقافتهم.

إن أساس الفكرة العربية هو الثورة التي قادها النبي محمد، هذه الثورة التي كان مضمونها هو الدعوة الإسلامية وكانت لها أهداف وقيم إنسانية و اجتماعية وتحررية حيث كانت تسعى إلى تحرير القبائل العربية من سيطرة القوى الكبرى في تلك المرحلة التاريخية.

أما الأمة العربية فقد بدأت تكوينها في القرن الرابع الهجري حين بدأت داخل الدولة الإسلامية عملية انصهار طبيعية بين العرب والعجم والترك والفرس والأمازيغ.. وفي المغرب أسس ملوك الأمازيغ دولا كبيرة لكنهم ظلوا متشبثين بالانتماء للحضارة العربية والإسلامية وشجعوا حركة التأليف بالعربية لأنها كانت عنوان تلك الحضارة التي ساهم في بنائها الجميع. بل إن كبار المفكرين والفلاسفة والعلماء كانوا في معظمهم من أصول غير عربية لكنهم اختاروا التفكير والكتابة باللغة العربية.. واكتسبوا بذلك الصفة العربية ليس بالانتماء العرقي بل بالمساهمة الطوعية في بناء حضارة قامت على أساسين متلازمين هما العربية والإسلام.

اليوم يتأسس خطاب القومية العربية وسط حركة التحرر الوطني على فلسفة الأنوار التي ترفض النظر إلى الأمة على أنها نتاج طبيعي قائم على رابطة الدم. إن المجتمع في نظر هذه الفلسفة هو نتاج عقد اجتماعي يربط أحرارا بفعل إرادتهم الحرة.. والقومية وفق هذا المنظور هي نتيجة عقد اجتماعي..

إن أحزاب اليسار تنظر الى القومية العربية على أنها مشروع مستقبلي يقوم على أساس إنجاز مهام التحرر الوطني من مختلف أشكال الهيمنة الاستعمارية والإمبريالية.. والتي يأتي على رأسها تحرير فلسطين ومعها كل الأراضي العربية التي مازالت مستعمرة، لأنه يستحيل حل أية مشكلة متعلقة ببلد معين بمعزل عن الوضع العام للبلدان العربية.. والشرارة التي انطلقت من تونس وأدت إلى اندلاع الانتفاضات الشعبية في كل البلدان العربية هي دليل على هذا الترابط ودليل على التأثير السلبي أو الإيجابي الذي يمارسه هذا الوضع العام على كل الأقطار العربية.

إن الثورة الفلسطينية كما عرفها الشهيد المهدي بنبركة هي "جزء من حركة التحرر الوطني في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، إنها ليست حربا بين العرب واليهود، ولكنها ثورة عربية ضد كل المخططات الامبريالية بدون أي تعصب عرقي" ..والذين يقولون أن القضية الفلسطينية لا تعنينا إما أنهم يجهلون طبيعة الصهيونية أو أنهم يعرفونها جيدا ويعملون على طمس طبيعتها الاستعمارية والعنصرية لتمهيد الطريق أمام سياسة التطبيع معها.

إن الشعب الفلسطيني يحمل على كاهله مصير ومستقبل هذه الأمة ويؤدي يوميا ضريبة الدم نيابة عن كل الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج.. وفلسطين هي في الواقع الخندق الأمامي في المعركة ضد القوى الامبريالية التي تستهدف نشر الفوضى وإثارة النعرات العرقية والدينية من أجل تقسيم ما هو مقسم أصلا .

نحن اليوم بصدد سايكس بيكو جديدة ..والاستهانة بالدور الذي تلعبه الصهيونية سيكون ثمنها غاليا.

لقد أصبحت اليوم الثورة الفلسطينية رمزا لمقاومة الظلم الذي تعاني منه الشعوب المناضلة من أجل عالم تسود فيه الحرية والعدالة والديموقراطية.. وهي بذلك تحولت إلى "قضية كونية" كما أعلن ذلك الفيلسوف الفرنسي إيتيان باليبار.. وذلك لأنها تعبرعن حقيقة مرحلة بكاملها، مرحلة الصراع بين الهمجية الامبريالية وقوى التحرر في كل مكان. ولكن عندنا ظهر من يقول أن الفلسطينيين هم أفضل حالا من بقية الشعوب العربية التي تعاني من استبداد وقهر أنظمة رجعية.. وأن ضحايا الاستبداد و الحروب الأهلية التي اندلعت في بلداننا هم أكثر من ضحايا الصهيونية.. وعلينا بالتالي أن نحرر أنفسنا قبل أن نطالب بتحرير فلسطين ونعلن تضامننا معها .

المسألة لا تتعلق بعدد الضحايا أو بمستوى الهمجية عند هذا الطرف أو ذاك، ولكنها تتعلق بمضمون الصراع. إن القضية الفلسطينية تجاوزت الإطار الجغرافي الذي هو فلسطين.. وذلك مثلها مثل حرب الفييتنام أو مقاومة السود لنظام الأبارتهايد في جنوب إفريقيا .." التي رغم الاختلافات (...) فإنها تتموقع كلها على خط التماس في الصراع بين الشمال والجنوب". هذه الصراعات كانت ولا زالت مع الثورة الفلسطينية عنوانا للصراع بين قوى التحرر والقوى الاستعمارية، ونتائجها كانت وستكون لها انعكاسات كبيرة على مستقبل العالم.. وتحولا نوعيا في موازين القوة العالمية. إذن على دعاة التقوقع على الذات أن ينتبهوا إلى ما يقع حولهم.. إن الصهيونية إنتصرت تقريبا على كل الواجهات، لكنها فشلت فشلا ذريعا في تلميع صورتها البشعة أمام الرأي العام العالمي، وفي المقابل يزداد التعاطف مع الشعب الفلسطيني رغم الأخطاء القاتلة للقيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية.. وإذا كانت حركة التضامن تزداد اتساعا في المجتمعات الغربية فإن الصهيونية في المقابل استطاعت أن تجد في العالم العربي و الإسلامي من يدعو إلى التطبيع معها والتخلي عن الشعب الفلسطيني بدعوى أننا لسنا عربا.

هذا مؤشر على أن الأيديولوجية الفاشية تنتشر أساسا وسط الضعفاء غير الواثقين من أنفسهم.

تحكي ...وأسمعك..

أخاف من الصوت العالي... أخاف من أبي... أخاف من كل شيء

◆ فريدة العاطفي - فرنسا

كل سنة أزور فيها المغرب، أشرف على تأطير ورشات نفسية ولقاءات جماعية مع التلاميذ. في تجربة متميزة التقيت ما يقارب 896 تلميذا وتلميذة. كان موضوع تلك اللقاءات الثقة بالنفس من خلال النظر في المرآة. ومن نتائجها أنني توصلت من مجموعة من التلاميذ برسائل يتحدثون فيها عن مشاكلهم... أنشرها هنا بأسماء مستعارة مع ردي عليها... إنها رسائل كتبت بصدق ... فأرجو قراءتها بحب...

سفيان: لا أحب وجهي...

أريد في هذه الكتابة أن أتحدث عن حياتي وأيامي التي مرت. في السنوات الماضية وفي طفولتي كنت أحس بالكثير من السلبيات في شخصيتي، منها عدم ثقتي بنفسي فلم أكن أحب وجهي. كما كنت أعاني من الخوف. الخوف من كل شيء، كنت أخاف من أبي، من الصوت العالي، ومن كل شخص يكبرني سنا. وحتى عندما كنت أتكلم مع الأشخاص الأكبر سنا، ويسألونني ما هو إسمك؟ كنت أظل فترة قصيرة صامتا لا أجيب.

الأشياء الإيجابية الجميلة في حياتي قليلة منها اللعب... الكثير من اللعب، لقد لعبت كثيرا في طفولتي ألعابا مختلفة ومتنوعة منها كرة القدم.

الحمد لله عندما بدأت أعاشر الأطفال الأكبر سنا مني بدأت أتحسن، أصبحت أكتسب بعض الثقة بالنفس وتخلصت من الخوف الذي صاحبني في حياتي وأنا طفل، وعندما وصلت الى الاعدادي بدأت أعيش عاديا.

من وجهة نظري أريد نصائح للآباء وخاصة في تربية أولادهم تربية جيدة منذ الولادة وحتى الدخول الى المدرسة وهي مرحلة مهمة في حياة الطفل للخروج والعيش في المجتمع.

المفتاح الحقيقي للتربية هو الحب وليس الخوف

مرحبا سفيان، لا أعرف؟ لماذا أنت بالذات وأنا أقرأ لك أردت أن أعرف عمرك. تمنيت لو أنك كتبت أكثر، لأفهمك أكثر، لأفهم لماذا تخاف من أبيك إلى هذه الدرجة؟ هل هو رجل عنيف مثلا؟ هل كان يتكلم معك بصوت مرتفع حتى أصبح كل صوت مرتفع يخيفك؟ أعتقد أن أباك هو مصدر معظم مخاوفك. بالمقابل لم أعرف من بوحك: هل لديك إخوة؟ هل أنت الأكبر أم الأصغر بينهم؟ ما نوعية علاقتك بهم؟ هل أنت يتيم؟ أين هي أمك؟ وما دورها إن كانت على قيد الحياة في هذه المخاوف؟ هل هي جزء منها؟ هل هي مثلا ضعيفة وبدورها تخاف من أبيك مما كان يجعلك تشعر بعدم الأمان؟ أم هي بدورها كانت تخيفك؟

بعض الآباء يا سفيان يعتقدون أن مفتاح التربية هو الخوف لذلك يدفعون أبناءهم للخوف منهم، بينما المفتاح الحقيقي للتربية هو الحب وليس الخوف. الخوف يؤدي إلى عدم الثقة التي تؤدي بدورها الى الفشل في الحياة، بينما الحب يعزز الثقة لدى الطفل ويدفعه للنجاح والسعادة.

لكن المهم والجميل أن الآباء يحبون أولادهم، أحيانا يحبونهم بطريقة خاطئة لأن آباءهم أحبوهم بدورهم بطريقة خاطئة فنسمي ذلك التكرار الوراثي، فأبوك مثلا زرع بداخلك الخوف لأنه كان طفلا خائفا. انتقل خوفه لك فكبر في أعماقك حتى أصبحت تخاف من كل الكبار، وهذا يفسر لماذا زال خوفك حين أصبحت تكبر ولم تعد طفلا.

أحد المحللين النفسانيين واسمه أدلر يرى بأن جذور عدم الثقة بالنفس هو إحساس الطفل بالنقص أمام الانسان الكبير، والنقص يخلق الخوف ويخلق مشاعر سلبية كثيرة. أستحضر رأيه، فقد يفيدك في فهم نفسك، لأنه بمجرد ما يفهم الإنسان نفسه يتحرر من خوفه ومن عقده النفسية.

ما الذي كان يجعلك لا تحب وجهك في الطفولة؟ ألم تكن أمك، أو أبوك، أو المحيطون بك في طفولتك يقولون لك بأنك جميل؟

كل طفل جميل يا سفيان، لكن الطفل ليس له وعي بجسده، لذلك لا يمكن له أن يعرف: هل هو جميل؟ أم لا؟ إن لم يخبره أحد بذلك، وبعض الآباء للأسف لا يفهومن أهمية أن يسمع ابنهم منهم بالخصوص جملة: "أنت جميل"، فيكبر الطفل محروما من هذا الإحساس، ويعتقد بالفعل أنه ليس جميلا، قد ينتهي هذا الإحساس بانتهاء الطفولة، وقد يستمر معه مدى الحياة إن لم يفهم أسبابه.

طلبت مني في الأخير نصائح في التربية، أهم نصيحة يا سفيان هي الحب، وذلك يعني أن يحب الآباء أبناءهم بطريقة صحيحة بعيدا عن الأنانية، ويأتي في المرحلة الثانية الفهم والوعي بأن الطفل كائن مستقل وشخصية قائمة بذاتها وليس كائنا لا يفهم ولا يحس. جزء كبير من قدر الإنسان يتشكل في طفولته من خلال علاقته بوالديه.

لك مني كل الحب... دمت جميلا

من حصاد الفايسبوك...

◇ سعيد ناشيد

تطور وعي الإلتراس

التيفو الذي رفعه جمهور الرجاء البيضاوي في مقابلة الديربي ضد الوداد البيضاوي، يعبر عن نقلة كبيرة ومفاجئة في الحس الأدبي والوعي السياسي لجمهور الرجاء، الذي أبهر العالم في التيفو السابق الذي جسد شخوص مسرحية "المغنية الصلعاء" ليوجين يونيسكو، وعاود إبهار العالم في تيفو اليوم الغرفة 101 الذي يرمز إلى غرفة تعذيب المعتقلين السياسيين في رواية جورج أورويل 1984. أرى أن الدرس واضح: عندما ينهار الوعي يعاود النهوض من محاور غير متوقعة. تحية إكبار لجمهور الرجاء، وهينئا للفريق مرة أخرى.

قراءة في كتاب

كتاب "الأخلاق" لسبينوزا دليل نحو السعادة الكاملة

◆ قراءة وترجمة بتصرف: عبد الكريم وشاشا

" كل ما هو ثمين هو أيضا شاق ونادر"

كشف الفيلسوف جيل دولوز (Gilles Deleuze) باقتدار كبير عن الشخصيات الثلاث الرئيسية في كامل أعمال سبينوزا: العبد، المستبد والكاهن. فالشخصية الأولى -العبد- يخضع لمشاعر وأحاسيس دونيته وتعاسته، والشخصية الثانية -المستبد- هو الذي يحتاج حقا إلى تلك الأحاسيس والمشاعر ليدعم بها سلطته المستبدة، أما الشخصية الثالثة -الكاهن- فهو يقف منحنيا وكله حزن وأسى على الشرط الإنساني ومصيره المكلوم. والثلاثة يتقاسمون مشاعر الاستياء والنقمة من الحياة ويشكلون شبه "ثالوث أخلاقي"، وهو ما سَيُنذِر به لاحقا الفيلسوف نيتشه.

فبعد أن أماط اللثام عن المستبد والكاهن في كتاب "رسالة في اللاهوت - السياسة"، بقي لسبينوزا أن يكشف عن العبد، الإنسان الذي يعتقد بأنه حر، وهو في الحقيقة واقع تحت تأثير وسلطة توهماته، ورغباته، ونزعاته، وانفعالاته.. وكتاب "الأخلاق" هو مسار وارتقاء من العبودية نحو الحرية، من الأسى إلى البهجة والسعادة.

شرع باروخ سبينوزا في كتابة هذا النص حوالي 1661-1660، في مدينة ريغنسبورغ (Rijnsburg)، وقد عنونه ب "فلسفتي"، وبموازاة ذلك، كان يكتب في ثلاثة نصوص أخرى أكثر راهنية (رسالة موجزة، مبادئ فلسفة ديكارت، رسالة في إصلاح العقل)، صحيح أن كتابة عمله الرئيس عرفت بعض البطء، لكنها لم تتوقف أبدا رغم انشغاله في كتابة "رسالة في اللاهوت – السياسة" من 1665 إلى 1670. بعدها سيكرس كل وقته ل"الأخلاق"، والذي سينهيه عام 1675، أي قبل سنتين من وفاته. كما أن الظروف التي أنهى فيها عمله هذا، شهدت أحداثا بالنسبة له، كانت بشكل خاص قاسية ومضنية.

قبل أن يعمل على نشر هذا الكتاب، تأثر وتألم كثيرا بوفاة صديقه وتلميذه Adriaan Koerbagh الذي حوكم بسبب مرافعة حادة نشرها ضد الديانة المسيحية، بعد أن أبلغ عنه ناشره، وتمت إدانته بعشر سنوات سجنا ومات بعدها بقليل في زنازين أمستردام، هذا بدون شك أحد الأسباب التي دفعت سبينوزا وناشره بنشر كتاب "رسالة في اللاهوت- السياسة" بدون اسم مؤلفها، وبطبعة ألمانية غير موجودة، كما أنه رفض أن تتم ترجمتها من اللاتينية إلى اللغة الهولندية. وبسرعة تم منع الكتاب من قبل السلطات العمومية والدينية (الكاثوليكية، اليهودية والكالفينية).... وأكثر الهجمات ضراوة كانت من المسيحيين، الكاثوليك منهم أو البروتستانت.. ومن الأصدقاء والخصوم على حد سواء..

حتى ولو كان الكتاب مجهول المؤلف، لكن لا أحد لم يكن ساذجا في معرفة الكاتب، فقساوسة مدينته الصغيرة (Vooburg) أجمعوا هم أيضا على الهجوم عليه، وحرضوا عليه مالك المنزل الذي يستأجره، بدعوى أنه يأوي مهرطقا، وهذا ما دفع سبينوزا أن ينتقل إلى (La Haye) ووجد مستقره أخيرا في غرفة صغيرة عند رسام لوثري له زوجة وسبعة أطفال، وهناك سيقضي الفيلسوف السبع السنوات الأخيرة المتبقية من حياته.

أما السياق السياسي لهذا الكتاب، فهو سياق عاصف ومتقلب: ففي عام 1672، سيقوم لويس الرابع عشر بغزو هولندا. وتم اتهام رجل الدولة الهولندية الكبير (Jean de Witt)، الذي كان يحمي سبينوزا ويدافع عنه، بإتباع سياسة خارجية ومتهورة سلمت مصالح الجمهورية إلى فرنسا، كما أنه تعرض لمحاولات اغتيال عديدة، وبينما هو في طريقه لإنقاذ أخيه من داخل أحد الزنازن التي كان مسجونا فيها، هجمت عليه حشود غير مقيدة، وانهالت عليه هو وأخوه بالضرب العنيف، وتم سحلهما بوحشية قبل شنقهما معا؛ بعد عامين، سيتلقى سبينوزا أخبارا عن موت أستاذه السابق (Franciscus Van Den Enden)، شنقا بسجن الباستيل بتهمة المشاركة في التآمر ضد ملك فرنسا. رغم هذه الانتقادات وهذه الظروف العصيبة، انتشرت أفكار سبينوزا في أوروبا، وبدت تغري العديدين، وهكذا عرض عليه سنة 1673، أن يتولى كرسي الفلسفة بالجامعة المرموقة (Heidelberg) بألمانيا.. لكن سبينوزا رفض العرض رفضا قاطعا، وكما سجل جيل دولوز بأن سبينوزا: " ينتمي إلى نوع خاص من الفلاسفة، الذين يطيحون بالقيم السائدة ويحطمونها ويجعلون من الفلسفة ضربات مطرقة، وهم ليسوا "أساتذة عموميين رسميين يتبعون النظام العام للأخلاق والسلطة"... إذن في هذا السياق السياسي والسجالي المتموج والمتقلب، استأنف باروخ سبينوزا كتابه الرئيس "الأخلاق" وأنهاه، في بداية مؤلفه هذا اختار كتابة خاصة، حسب طريقة هندسية ورياضية (مفاهيم وتحديدات معينة، مسلمات، افتراضات، وبراهين.. الخ) والتي تجعل عملية القراءة جافة وشاقة، وقد فسر (Leo Strauss) اختيار الفيلسوف طريقة عرض أفكاره هذه، كي يجعلها غير مفهومة، للهروب من أية مراقبة أو مضايقة. لكن سبينوزا في رسالة تحمل تاريخ 1661، يقول فيها: " لكي تبدو تحليلاتي واستدلالاتي واضحة ومختصرة، لم أجد أحسن من إخضاعها للشكل البرهاني والرياضي " . على أثر ديكارت، يعتقد سبينوزا جازما بأن بناء العالم، هو بناء رياضي، وأن أحسن عرض لأية عملية أو مشكلة وحلها، هو الطريقة الرياضية البرهانية، لذلك عنون كتابه : الأخلاق حسب الطريقة البرهانية.

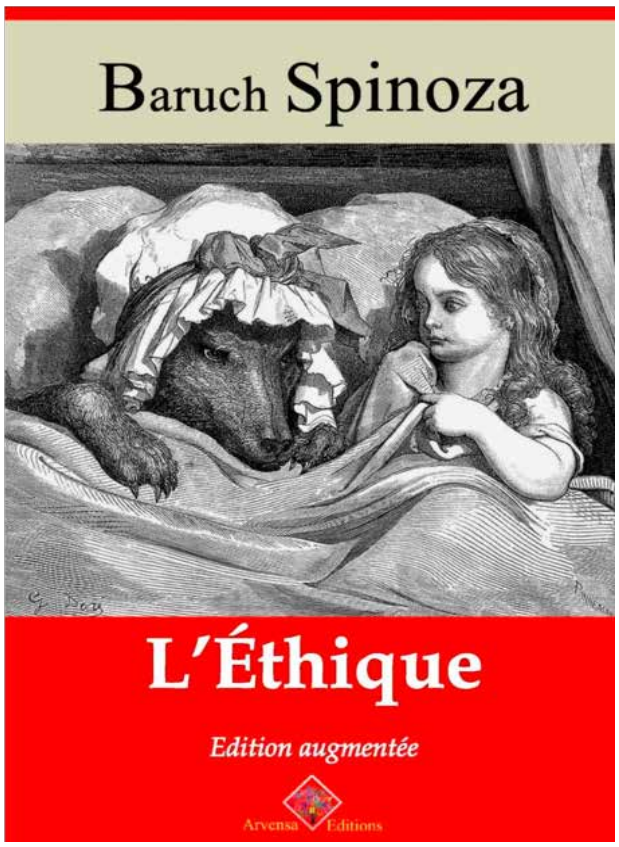

لذلك ابتدأ سبينوزا في مقاطع كبيره من كتابه بتعريف واحد أو عدة تعاريف، تليها حسب الاقتضاء، شروحات وعرض بدهيات ومفاهيم مشتركة، ثم سلسلة من الفرضيات، وكل فرضية خلفها دائما إيضاحات ، يمكن استكمالها وملازمتها بنتائج منطقية أو حاشية - بمعنى تعليق تمت صياغته بطريقة أكثر كلاسيكية. هذه الطريقة في الكتابة مرهقة جدا للقارئ، وهي مفيدة لسبينوزا، تجعله يميز بين مستويات مختلفة في القراءة....

إن طموح سبينوزا من خلال هذه الكاتدرائية من الكلمات، هو تقديم علم أخلاقي، بمعنى طريق ومسار سلوكي يؤدي إلى حياة جيدة وسعادة نهائية.. وحاول إعادة تعريف الجسد والعقل، مبرهنا على أنهما ليسا حقيقتان منفصلتان، واقترح تحليلا متأنيا ومفصلا لعواطفنا وأحاسيسنا، لكن ليس للكفاح ضدها وصدها على غرار الأخلاقيين، ولكن لإعادة توجيهها بدعم من الرغبة والعقل؛ وختاما انخرط في تحليل للعبودية واستعباد الإنسان، وخضوعه لانفعالاته وأحاسيسه وإقصاء العقل، والخيط الموصل لهذا الطريق هو البهجة... إن سبينوزا واع بأن هذا الطريق الذي يقترحه شاق ومكلف، لذلك خلص في كتابه إلى أن: " ما هو ثمين وقيم هو شاق ونادر" ..

مدير النشر	عبد الواحد المهتاني	التوزيع	سابريس
رئيس التحرير	يزيد البركة	العنوان	رقم 1 زنقة أحمد الكرناوي الطابق الأول ساحة ماريشال، الدار البيضاء.
سكرتير التحرير	عبد الغني عارف	مكتب الطريق بالرباط	شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.
المدير الفني	إسماعيل المتقي	البريد الالكتروني	attarik.journal@gmail.com
المدير الإداري والمالي	لحسن خطار	الهاتف	07 08 80 90 87
الإيداع القانوني	16/2018 ص ح.	رقم الحساب البنكي	BMCE: 011794000045210000323097
المطبعة	ايكوبرينت	النسخة الالكترونية	www.attarik.net
عدد السحب	5000 نسخة	دورية الجريدة	أسبوعية / شهرية (مؤقتا)
رقم الايداع	2019PE0068	الرقم الدولي المعياري للدوريات	ISSN 2658 -8161

المراسل بروسيا: رضى عادل

روسيا.. مخاض الثورات

رضى عادل

يتشكل المجتمع البشري باستمرار من خلال التطورات الاجتماعية والسياسية والتكنولوجيا، تقابل هاته التطورات بالاحتضان أو الرفض، وعادة يكون الرفض أو القبول صامتًا وسلسًا، وفي بعض الأحيان، تكون العملية عنيفة وتؤدي إلى صراع وتؤدي لثورة. وفق صموئيل هنتنغتون، "الثورة هي تغيير داخلي سريع وأساسي وعنيف في القيم والأساطير السائدة في المجتمع، وفي مؤسساته، وهيكله الاجتماعي وقيادته، ونشاطه وسياساته الحكومية."، ففي القرون السابقة ساد نظام العائلة المالكة أو الملكية على سدة الحكم، فإذا وجدت نفسك تعيش حاليا في نظام مخالف أكثر حرية في انتقاء الحاكم، فاعلم أن أجدادك قد ضحوا بالكثير من أجلك.

إن تمحيص مرور روسيا من القيصرية إلى الجمهورية، يقودنا إلى فهم ثورتي عامي 1905 و1917، كردة فعل جماعية للجماهير ضد الحكم الاستبدادي الفاسد وغير الكفء للنظام القيصري، والذي كان غير قادر وغير راغب في التغير مع الزمن، علاوة على ذلك، فإن الثورات بالكاد أسفرت عن نوع أولي من التغيير المثمر والمساواة الذي طالبت بها الجماهير، وبالتالي، فإن هاته الثورات كانت بمثابة حكاية تحذيرية لكل من الحكومات والثوار مستقبلا.

تكمن الأسباب غير المباشرة لثورة 1905 في التطورات الاجتماعية والسياسية والزراعية والصناعية التي ميزت القرن السابق، حيث أصبح الأقنان المتحررون فلاحين "أحراراً"، رغم أنهم ما زالوا مرتبطين بالنظام الزراعي المجتمعي المسمى مير.

ومير كان نظاما ظالما ينص على الانتفاع من الاراضي الزراعية دون حق التصرف (البيع أو الكراء أو الرهن)، مما تسبب في إفقار المزارعين، وفرض عليهم دفع مبالغ التقسيط للحكومة، بالإضافة إلى الضرائب الباهظة، لتوزيع الأراضي لهم. وغالبا ما أدى العبء المزدوج إلى نفور متزايد تجاه الحكومة.

كان القيصر نيكولاس وحكومته من النبلاء على دراية بالحالة المتخلفة للاقتصاد الروسي، ولذا دفعوا إلى تحديث بدائي أدى إلى تصنيع سريع، أوجد طبقة بروليتاريا حضرية جديدة وحول الفلاحين من خلف المحراث إلى العمل في المصانع الصناعية ذات التقنية العالية. كانت الظروف في المصانع الروسية بئيسة بشكل لا يطاق، وكان العمال في كثير من الأحيان ينتفضون ضد بيئة عملهم المزرية. ولأن الكثيرين جاءوا إلى المدن للعمل في هذه المصانع، فقد أصبحوا يعرفون القراءة والكتابة بشكل متزايد ويدركون محنتهم نتيجة لذلك، فشاعت الإضرابات العمالية والسخط العام، وتحول العمال إلى قوة هائلة ضد كل من إدارة المصنع والحكومة، ونظرًا لتوسع الاضطرابات في كل المراكز الصناعية الحضرية والريف، كان القيصر نيكولاس وحكومته يناورون بحروب صغيرة من أجل تهدئة الاستياء المحلي، حيث دخلت روسيا في حرب مع اليابان سنة 1904، حول منطقة منشوريا، وقد انهزم الروس وأحسوا بالإذلال، نتيجة لضعف قيادة القيصر نيكولاس الثاني، مما زاد الغضب الشعبي.

في يوم الأحد 9 يناير 1905، تم تنظيم احتجاج سلمي لجذب انتباه القيصر لمعاناة الطبقة العاملة والأسر الفقيرة، وقد تم إطلاق النار على المتظاهرين فيما سمي "الأحد الدامي"، واندلعت هاته الثورة الأولى التي فرضت إعلان القيصر عن بيان أكتوبر، تم الاتفاق على دستور جديد وتعهد بانتخاب برلمان جديد والذي كان يسمى مجلس الدوما.

على الرغم من أن هذه الثورة لم تحدث أي تغيير حقيقي في المشهد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لروسيا، فإنها مهدت الطريق لثورة عام 1917.

كان العوام لا يزالون محبطين، لكن المواطن العادي لمس نتائج ما يمكن أن يحدث عندما يخرجون إلى الشوارع بشكل جماعي، كما كشفت الثورة عن ضعف القيصر وعدم كفاءته، وسياسته الفاشلة على مستوى الدولة، وتفشي الفقر، والجوع، والهزيمة في الحرب الروسية اليابانية، ما مهد الطريق لصعود الجماعات الإصلاحية والثورية،في مواجهة حاشية وطبقة القيصر.

كان هناك إذن تراكم لمؤشرات ثورة 1917، والتي ابتدأت بين فبراير وأكتوبر، أمام فشل السياسات الاقتصادية القيصرية التي تسببت في نقص الغذاء، وسخط عام على الاستبداد القيصري، في المقابل تنامي وعي البروليتاريا وازدياد راديكاليتها وثوريتها، وانتشار مجلات الخطابة العمالية والصحف الثورية التي دعت إلى الإطاحة بالنظام، وتنظيم العمال والفلاحين، إذن فالتوترات التي تفاعلت منذ عام 1905 جعلت المشهد السياسي الروسي هشاً وعنيفاً، بحلول نهاية عام 1916، مع توريط روسيا في الحرب العالمية الأولى، حيث عانى الجيش الروسي من هزائم تكتيكية في "تاننبرغ" و "مازوريان"، مما تسبب في مقتل أو إصابة حوالي مليوني جندي. تسببت الهزائم العسكرية في موجة عارمة من الاستياء تجاه القيصرية، خصوصا مع تسلط راسبوتين وقساوسة للكنيسة، على مناصب الدولة والتعيينات الوزارية.

اصبح الناس في الانتفاضات يهتفون "يسقط القيصر"، وكان الجنود على اتصال مع المتظاهرين، وبدلاً من إطلاق النار على الحشود، وقفوا أو انضموا إليهم. فقد القيصر السيطرة على الجيش، نصحه مستشاروه بالتنازل عن السلطة، لكن نيكولاس كان رجلا متعجرفا وغير كفء يعاني من رغبة شديدة في القيادة وصنع القرار، لم يكن يعرف ماذا يفعل، وبعد ضغط شديد، وسلسلة من الانتفاضات والاضرابات، نجحت الثورة في فرض تنازل القيصر عن العرش في 17 مارس 1917. بهذه الطريقة الثورية، ولدت الجمهورية الروسية.

في أبريل 1917، تم تأسيس السلطة المزدوجة للحكومة المؤقتة وسوفييت بتروغراد، انتهت مهامها في أكتوبر من عام 1917، مع الاستيلاء السريع والشامل على جميع السلطة السياسية من قبل البلاشفة، خصوصا وأن الحرب العالمية الأولى كانت لا تزال مستعرة واستمر نقص الغذاء، وكانت حكومة كيرنسكي تفتقر إلى القدرة على توحيد الجماهير والعمل كرمز للقيادة والوحدة، رأى فيهم عامة الشعب الروسي بقايا الحكم القيصري، لكن البلاشفة كانوا يرتقون في السلطة، وفي تحالف مع الطبقات البروليتارية والفلاحية، نمت عدائية متزايدة تجاه حكومة كيرنسكي خلال هذا الوقت، وكان لينين يرتفع كقوة سياسية ناشئة، في صيف عام 1917، أصبح لينين الشخصية السياسية المعبرة عن البلاشفة، وكان شعاره بسيطا وعميقا : "السلام والأرض والخبز". بحلول 25 أكتوبر 1917، تم إضعاف حكومة كيرنسكي إلى المستوى الذي لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها، وهو ماممكن في 7-6 نونبر البلاشفة من الأخذ بزمام الأمور في شريان الحياة في بتروغراد واقتحموا قصر الشتاء، ثم بعدها قاد لينين وستالين وتروتسكي الجمهورية الروسية.

الثورة دائما تهدف إلى إحداث التغيير، هذا التغيير يحدث اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا. في كل ثورة هناك رابحون وخاسرون، في عام 1905، كانت الطبقة الأرستقراطية، على الرغم من جرحها، لا تزال فائزة، رغم تحقيق بعض المطالب في مجلس الدوما، والخاسرون كانوا هم الفلاحون والبروليتاريا.

أما ثورة 1917 فقد أدت إلى تغييرات جذرية لا تزال تأثيراتها على روسيا إلى الآن، كانت الطبقة الأرستقراطية والرأسماليين أكبر الخاسرين، بينما بدا أن البروليتاريا والفلاحين ينتصرون. وقد غيرت ثورة 1917 العالم بأسره، في أوروبا الشرقية وفي آسيا ما بعد الاستعمار وإفريقيا وأمريكا اللاتينية،...

إذا نظرنا للثورات من ناحية تحليلة نجد أنها عادة ما تنفجر في بيئة اجتماعية ظلت خاملة لعقود طويلة، وهذا الخمول أو الجمود ناجم عن تركز الحكم لدى طبقة وفئات بعينها تتحكم في مقدرات الشعوب وثرواتها وينخرها الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وبالتالي ورغم ذلك فالمجتمعات البشرية لا تخلو من أناس يقظين مهما بلغت من الخمول يبثون روح التغيير والوعي في تلك المجتمعات لتثور على ذلك الوضع المأزوم الذي تخربت بسببه البيئة الإجتماعية والثقافية والسياسية للشعوب، وتبدأ عجلة التغيير في الحركة.

عند المقارنة مع بيئتنا، يمكن تصور أن ثورتي 1905 و1917، يمكن مقاربتها بوضع حكوماتنا العربية وعلاقتها بشعوبها، حيث تعد ثورة 1905 بمثابة حالةرإنذار وتحذير للنخب الحكومية في مناصب القيادة وصنع السياسات لتبني التغيير بأمان، وحين ركوب موجة تعنت الاستبداد فإن ثورة 1917 تمثل انتهاء مدة التحذير والمرور للتغير الثوري العنيف.

الشعوب تبحث دائما عن الحل السلمي قبل كل شيء، لكن الحالة الثورية الشاملة تكون خيارا يفرضه الحكام وطبقتهم المسيطرة حين رفض كل الحلول الإصلاحية لتقويم الوضع.

ZOOM

بول بولز ومحمد شكري، والمصالحة الممكنة

عندما كتب محمد شكري كتابه الثأري: "بول بولز وعزلة طنجة" سنة 1995 على نفقته الخاصة، استغرب القراء من حجم الغضب الذي كان يكنه محمد شكري لبول بولز، وذهب العديد من النقاد ومنهم ابراهيم الخطيب الى أن الخلافات حول المستحقات المالية لعائدات الكتب المترجمة هي التي أججت غضب محمد شكري، وقد اتهم هذا الأخير بول بولز بالتصرف في المال بحرية، فيما ذهبت كتابات أخرى إلى أن الأمر يتعلق بعقدة قتل الأب الرمزي، على اعتبار ان بولز هو من قدم شكري للعالم عندما ترجم له روايته الأولى "الخبز الحافي" إلى اللغة الانجليزية، فهل قابل محمد شكري جميل بول بولز بنكران الجميل والإساءة؟

لقد كابد بولز الكثير من الصعاب خلال مقامه الطويل بطنجة، حيث جاء إلى المدينة أول الأمر زائرا في الثلاثينات، ثم سرعان ما عاد إليها في الأربعينات ليستقر بها هذه المرة إلى ان وافته المنية سنة 1999.

وقد أغرم بولز بمدينة طنجة حد الانبهار، لكنه تأسف لتغيير الوضع القانوني للمدينة، من مدينة دولية إلى مدينة مغربية، ولعل صراحته هذه جرت عليه الويلات من المثقفين المغاربة المتوثبين دوما لانتقاد ما يسمونه النزعة الكوونيالية لبول بولز.

ففي مذكراته التي سماها "يوميات طنجة 87/89" يبدي بولز تبرمه من تفاصيل صغيرة تغيرت في المدينة من قبيل استبدال طلقات المدفع للإعلان عن موعد الإفطار في رمضان بصفارة الإنذار التي تحيل على الغارات الجوية!

كما يقول في مكان آخر من مذكراته:"لقد تلاشت كل متع طنجة"، ولعل هذه النوستالجيا الى العهد الكولونيالي لطنجة، والتأملات النقدية للواقع المغربي في أدق تفاصيله، جعلت بعض المثقفين المغاربة يتهمونه بتشويه الثقافة المغربية، وكأن فلوبير مثلا عندما يرفض الأوصاف الرومانسية لنهر السين، ويعمل على إبراز الأشياء السلبية المحيطة بالنهر في رواية مدام بوفاري، يقوم هو الآخر بتشويه معلمة من معالم باريس وهي نهر السين!

إنها اختيارات أدبية وفنية عبر عنها بول بولز، لكن الكثير من المثقفين المغاربة لم يتفهموا غربة بول بولز بالنسبة لمدينة تتغير للأسوء عمرانيا وبشريا وبيئيا...

لقد كان الراحل محمد زفزاف ينتقد العوالم الموبوءة والحالكة لما يمكن ان نسمية اللومبن بروليتاريا، وكان ينتقد السلوكات المشينة لهذه الطبقة، ولكنه في نفس الوقت تعاطف معهم في كتاباته، ونقل معاناتهم وكفاحهم المرير من أجل لقمة العيش، فلماذا لم يتهم العظيم زفزاف بما اتهم به بول بولز؟!

لقد قال محمد شكري عن بولز بأنه يعاني من الجفاف الإبداعي، وانه كان يحتاج إلى محفز خارجي من أجل مواصلة الكتابة، واتهمه باعتماده على زوجته جين من أجل تحقيق ذلك، تم اهتدى فيما بعد إلى ترجمة محكيات "رواة طنجة" وخصوصا محمد لمرابط الذي كان يحكي له حكاياته الغرائبية تحت تأثير المخدرات والخمر...

لعل هذه النبرة التحاملية في خطاب محمد شكري حول بول بولز لا تخطئها الحواس، فما معنى وما فائدة أن يقول شكري بأن بولز كان يتناول مخدر الكيف ويأكل المعجون؟!

يبدولي بأن محمد شكري وقد أصبح كاتبا عالميا بفضل ترجمات بولز لرواية "الخبز الحافي" وكتاب "جون جونيه في طنجة"، راودته الرغبة اللاواعية التي تحدث عنها فرويد وحللها باستفاضة، وهي عقدة قتل الأب، وهنا الأب الرمزي ليس إلا بولز الذي علينا إنصافه (إلى جانب صديقه محمد شكري طبعا) ككاتب ساهم في خدمة الثقافة المغربية وتخصيبها، وإيصالها الى العالمية.

◆ عبد الهادي دهراوي

تاريخ التحف الفنية....

لوحة "حارس السلاحف"

للفنان التركي "حمدي عثمان"

في المرور بين القرنين 19 و 20، ظهر رجل مختلف ومميز، يدعى حمدي عثمان بيك، مفكر وتشكيلي، معماري ومرمم آثار.. من مواليد 1842 كان يحلم بدولة جديدة وحديثة ومعاصرة، على أنقاض الدولة العثمانية المتهالكة والغارقة في سلفيتها ورجعيتها، في هذا السياق جاءت لوحة "حارس السلاحف"، وتمثل شيخا متسولاً يضع قبعة عتيقة رمزا لتخلف و ترهل ورجعية الدولة العثمانية، يدرب سلاحف بطيئة، تقاوم سرعة التغيير الحديث، ويمسك ناياً وراء ظهره كرمز للموسيقى والعصرنة، التي تصارع لتفرض نفسها مستقبلا في الدولة الحديثة التي ستبدأ أول خطواتها سنة 1913.

باطما.. الطاس.. الحي المحمدي

في عشق نادي الاتحاد البيضاوي، المتوج مؤخرا بكأس العرش سبق للكبير، المبدع العربي باطمة أن صرح بشغفه بنادي "الطاس" قائلا:

"أنا سأبقى دائما مع فريق الاتحاد البيضاوي، حتى لو نزل للقسم الخامس.

إن الكرة في المغرب، بصفة عامة، لها ما لها وعليها ما عليها، ونفس الشيء بالنسبة للاتحاد البيضاوي، لكن يبقى الأمر بالنسبة ل "الطاس" أقوى من كل هذا، لأن حبي للفريق هو أيضا حبي للحي المحمدي، وللدرب الذي نشأت فيه، فهو يمثل بالنسبة لي الجارة والأم والأخت والأخ والصديق.."

زواج "الكونطرا"..

اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، سنة 1993، قراراً بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، وعَرَّفَتْهُ بأنه "أي فِعْلٍ عنيف تدفع إليه عصبية الجنس، ويترتب عنه أوٍ يرجح أن يترتب عليه: أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية"، ويقف العالم على حجم اضطهاد نساء المعمور في اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، والذي يصادف 25 من نونبر من كل سنة، ولا تشذ النساء المغربيات على قاعدة هذا العنف المُوَجَّهِ، والذي يتخذ أبعادا خطيرة على المستوى النفسي، الجسدي والاجتماعي..

في هذا السياق نظمت فيدرالية رابطة حقوق النساء يوم الجمعة 22 نونبر 2019 ندوة صحافية، قدمت خلالها نتائج دراسة أعدتها المنظمة حول ظاهرة العنف ضد النساء بالمغرب، شملت 12000 حالة عنف ضد المغربيات، كان تصنيفها إحصائيا كالتالي : فحوالي نصف الحالات كانت في باب العنف النفسي، والذي يشمل الاضطهاد والتعنيف اللفظي والتجريح النفسي والإهانات في الفضاءات العامة، 24% من الحصيص المدروس مرتبط بالميز الاقتصادي والاجتماعي على مستوى تحقير أجور النساء وحرمانهن من الإرث وسلب مقدراتهن الأسرية ووضعهن في درك اجتماعي منحط، أما العنف الجسدي الذي يصل لحد العاهات المستديمة في حق النساء فقد وصلت نسبته ل 15% في المئة، وهو رقم مرتفع جدا يؤشر لدرجة التوحش والنظرة الدونية للمرأة والمغطاة بالتكتم والتستر على هاته الجرائم، لم تغفل الدراسة حجم العنف القانوني الذي تتعرض له المرأة المغربية رغم التهليل بأفضال دستور 2011 وقد وصلت نسبة هذا الشطط 7%، وردهات المحاكم شاهدة على هذا الميز الذي يختبئ خلف ضبابية الفصول وفجوات القانون، وأخيرا وصلت نسبة العنف الجنسي إلى 5% في المئة وهو إحصاء لا يعكس الحجم الحقيقي لهول الارقام في الواقع، خصوصا مع اعتبار هاته الظاهرة طابو مجتمعي يصعب الحديث عنه، رغم أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تلعب دور الرقيب في فضح جرائم الاغتصاب والتحرش والإكراه الجنسي تُجاه النساء.

إن خطورة هاته الأرقام، والتي تعكس حجم العنف المجتمعي تُجاه النساء المغربيات، يفرض إعادة ترتيب معركة مناهضة العنف ضد المرأة، بإعادة النظر في التشريعات لتكون واضحة في حماية حقوق المغربيات بتجريم العنف ضدهن، ووضع مساطر قانونية لجبر الضرر النفسي والمادي، وكذا بإعادة النظر في مناهج التنشئة لِتَمَثُّلِ قيم المناصفة والمساواة، كسمو إنساني، فالنساء أكثر من نصف المجتمع، ليس فقط إحصائياً، بل بمنطق بناء مغرب جديد منفتح على التغيير الديمقراطي والتحديث والمواطنة الحقة، مغرب يقطع مع تكلس رجعية القوانين والعقول المتحجرة للقرون البائدة، والتي تناور القانون الهلامي لاستبعاد النساء كنزوات جنسية، كما فعل فقيههم الذي علمهم العبث باسترقاق القاصرات تحت مسمى زواج "الكونطرا".

قسيمة الإشتراك

الطريق

السيد رئيس تحرير جريدة الطريق المحترم
تحية طيبة وبعد، أرجو قبول اشتراكي السنوي في جريدة الطريق، وارسالها على العنوان الموضح جانبه.

الاسم الكامل : .....
العنوان : .....
.....
.....
.....
البريد الالكتروني : .....
الهاتف : .....

نوع الاشتراك

بالمغرب	خارج المغرب
☐ أفراد 200 درهم	☐ أفراد 400 درهم
☐ مؤسسات 500 درهم	☐ مؤسسات 600 درهم

الاشتراك التشجيعي مفتوح

رقم الحساب البنكي : BMCE: 011794000045210000323097
البنك المغربي للتجارة الخارجية - وكالة البستان - الدار البيضاء

ترسل صورة قسيمة الاشتراك وصورة وصل التحويل البنكي على البريد الالكتروني التالي:
attarik.journal@gmail.com